جامعة الأزهر
كلية أصول الدين
والدعوة بالمنوفية

تفسير سورة الأعلى

"دراسة تحليلية"

إعداد الدكتور

أيمن عبد الراضي عبد السلام مبروك

مدرس التفسير وعلوم القرآن
بكلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة الأعلى "دراسة تحليلية".

أيمن عبد الراضي عبدالسلام مبروك.
قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية أصول الدين والدعوة بالمنوفية، جامعة الأزهر، مصر.
البريد الإلكتروني: 1611010058@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

هذا البحث في تفسير سورة الأعلى، يكشف عن بعض أسرارها ولطائفها، من خلال التفسير التحليلي لآياتها، ويتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما المقدمة: ففيها أهمية الموضوع، وإشكالياته، وحدوده، وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه. **وأما التمهيد:** ففيه التعريف بالسورة الكريمة، من حيث أسمائها، ووجه تسميتها، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها وفواصلها، وترتيبها، ونوعها، وفضلها ومناسبتها لما قبلها وأغراضها ومقاصدها. **وأما الفصل الأول فهو بعنوان:** الأمر بتنزيه الله – سبحانه– والاستلال على بيان عظمته وقدرته. **وأما الفصل الثاني فهو بعنوان:** من بشارات الرب العلي إلى النبي الأمي (ﷺ). **وأما الفصل الثالث فهو بعنوان:** من علامة السعادة والشقاوة. **وأما الفصل الرابع فهو بعنوان:** بعض ما جاء في القرآن موافقاً لما جاء في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام). **وأما الخاتمة** فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات.

الكلمات المفتاحية للبحث: سورة الأعلى، تفسير سورة الأعلى، التفسير التحليلي لسورة الأعلى.

Interpretation of Surat Al-A'la "An Analytical Study"

Ayman Abdel Radi Abdel Salam Mabrouk.
Department of Interpretation and Qur'anic Sciences, Faculty of Fundamentals of Religion and Da'wah in Menoufia, Al-Azhar, University, Egypt.
Email: 1611010058@azhar.edu.eg

Abstract:

This research into the interpretation of Surat Al-A'la reveals some of its secrets and charms, through analytical interpretation of its verses.

The research consists of an introduction, a preface, four chapters and a conclusion. As for the introduction: it contains the importance of the topic, its problems, its limits, the reasons for its selection, its plan, and its methodology. As for the introduction: it contains a general study of Surat Al-A'la, in terms of its names, the way it is named, the number of its verses, words, letters, and breaks, its arrangement, its type, its virtues, its suitability to what came before it, and its purposes and purposes. As for the first chapter, it is entitled: The command to exalt God –Glory be to Him and to seek guidance in demonstrating His greatness and power.

As for the second chapter, it is not entitled: From the glad tidings of the Most High Lord to the illiterate prophet. As for the third chapter, it is entitled: Of the signs of happiness and misery.

As for the fourth chapter, it is entitled: Mentioning some of what was stated in the Qur'an in agreement with what was stated in the Scriptures of Abraham and Moses, peace be upon them. As for the list, it included the most important lessons learned from the Noble Surah.

Then I appended the research with an index of sources and references, and an index of topics.

Keywords: Interpretation of Surat Al-Ala, Surat Al-A'la, Analytical interpretation of Surah Al-Ala.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين، سيدنا محمد النبي الأمي الأمين، وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن الله أنزل القرآن بلسان عربي مبين، وجعله نوراً وهداية ورحمة للعالمين، وحفظه من التبديل والتغيير والتحريف فقال سبحانه: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ}** [الحجر: ٩]، ومنذ نزول القرآن على رسول الله (ﷺ) أقبل المسلمون عليه حفظاً وتدبراً وتفسيراً وكل هذه الأمور يصحبها العمل بما فيه، ولا عجب في ذلك، فإن القرآن نزل لسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة، ومازال القرآن –وسيزل– غضاً طرياً من يوم نزوله إلى أن يشاء الله، يستخرج كل جيل من الأجيال منه علماً بقدر طاقته البشرية بما يناسب زمانه ومكانه، ولِمَ لا؟ والقرآن كتاب هداية ونور ورحمة.

وكلما وجه الإنسان قلبة نحو سورة من سور القرآن قلَّ عدد آياتها أو كثر وقف على كثير من اللطائف والمعارف، ومن السور التي يمم الله قلبي نحوها للكتابة فيها والاقتباس من أنوارها سورة الأعلى فوجدتها اشتملت على الكثير من اللطائف والمعارف، فقمت بكتابة هذا البحث المتواضع للوقوف على شيء من هذه اللطائف والمعارف، من خلال التفسير التحليلي لآياتها، فكان هذا البحث الموسوم بـــ **(تفسير سورة الأعلى– دراسة تحليلية)**.

أهمية الموضوع

يستمد الموضوع أهميته من:

١– كون التفسير التحليلي من أجمع أنواع التفاسير حيث يطلع الباحث على

كل ما قيل في الآية من لغة وبلاغة وإعراب ومناسبة وسبب نزول وأحكام....وغير ذلك.

٢- اشتمال السورة على كثير من القضايا التي تحتاج إلى دراسة تأصيلية كقضية الخلق والتسوية والتقدير والهداية وعدم النسيان الذي بشر الله به نبيه (ﷺ) ... وغير ذلك.

٣- فيها آية وهي قوله: **{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}** [الأعلى: ٣] قال الرازي في شأنها: تفصيل هذه الجملة مما لا يفي بشرحه المجلدات، بل العالم كله من أعلى عليين إلى أسفل السافلين، تفسير هذه الآية وتفصيل هذه الجملة[١].

إشكاليات البحث

ترد مجموعة من التساؤلات حول هذا البحث تحتاج إلى أجوبة منها:

١-ما السر في افتتاح هذه السورة بالأمر بالتسبيح.

٢- ما دلالة بشارة الله لرسوله (ﷺ) بعدم النسيان في هذه السورة المكية.

٣- هل هذه السورة كلها مما جاء موافقاً لصحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام) أو أواخرها.

حدود البحث

حد هذا البحث منصبٌّ على تفسير سورة الأعلى تفسيراً تحليلياً، وذلك بذكر كل ما يتصل بالسورة الكريمة مما نص علماء التفسير على إيراده في هذا النوع من التفسير.

أسباب اختيار الموضوع

(١) ما ورد في السنة النبوية من كثرة قراءة النبي (ﷺ) لسورة الأعلى حيث كان يقرأ بها (ﷺ) في المجامع الكبار كالعيدين والجمعة وكذلك الوتر.

---

(١) التفسير الكبير (١٢٩/٣١).

(٢) تناول السورة الكريمة عدداً من الموضوعات التي تأخذ بالألباب حيث الأمر بالتسبيح والخلق والتسوية والتقدير وهداية كل مخلوق إلى ما يصلح أمره في الدين والدنيا وتبشير النبي (ﷺ) بعدم نسيان الوحي وذلك في بداية البعثة، وأن الذكرى لا تنفع إلا أهل الخشية، وختمت السورة الكريمة بشيء مما جاء موافقاً لما صحف إبراهيم وموسى.

(٣) أن هذه السورة الكريمة قد تضمنت عدداً من المسائل المختلف فيها بين المفسرين، مما يحتاج معه إلى عرض الأقوال ود راستها، وبيان الراجح منها بالدليل.

خطة البحث

وقد اقتضت طبيعة البحث أن أقسمه إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة.

أما **المقدمة:** ففيها بيان أهمية الموضوع، وإشكالياته، وحدوده وأسباب اختياره، وخطته، ومنهجه.

وأما التمهيد فيشتمل على سبعة مطالب للتعريف بالسورة الكريمة، وهي كما يأتي:

- **المطلب الأول:** أسماء السورة الكريمة، ووجه التسمية.
- **المطلب الثاني:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها وفواصلها.
- **المطلب الثالث:** ترتيبها.
- **المطلب الربع:** نوع السورة الكريمة.
- **المطلب الخامس:** فضل السورة الكريمة.
- **المطلب السادس:** مناسبة السورة لما قبلها.
- **المطلب السابع:** من أغراض ومقاصد السورة الكريمة.

وأما الفصل الأول: فهو بعنوان: الأمر بتنزيه الله – سبحانه– والاستلال على

بيان عظمته وقدرته.

وأما الفصل الثاني: فهو بعنوان: من بشارات الرب العلي إلى النبي الأمي (ﷺ).

وأما لفصل الثالث: فهو بعنوان: من علامة السعادة والشقاوة.

وأما الفصل الرابع: فهو بعنوان: بعض ما جاء في القرآن موافقاً لما في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام).

وفي كل فصل من الفصول السابقة أقوم بتفسير مقطع من مقاطع السورة الكريمة، ذاكراً ما يلي:

- المناسبة بين آيات هذا المقطع و آيات المقطع السابق.
- المباحث العربية وفيها (معاني المفردات، والإعراب، وبعض الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات).
- القراءات.
- مسائل التفسير.
- وأما الخاتمة فقد ضمنتها أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة.

ثم ذيلت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، وفهرس للموضوعات

منهج البحث

اتبعت في كتابة هذا البحث المنهج التحليلي، الذي يقوم على تحليل النص تحليلاً وافياً، ويتعرض لكل ما يتعلق بالآية القرآنية من كل جهة، واتبعت في كتابته الخطوات التالية:

(١) قمت بإعداد دراسة عامة عن سورة الأعلى، من حيث أسماء السورة الكريمة، ووجه تسميتها، وعدد آياتها وكلماتها وحروفها وفواصلها، وترتيبها، ونوعها، وفضلها ومناسبتها لما قبلها وأغراضها ومقاصدها.

(٢) عنونت لكل مجموعة من آيات السورة بعنوان يناسبها.

(٣) قمت بذكر وجوه المناسبات بين هذه المقاطع المختلفة.

(٤) بينت الدلالات اللغوية لبعض كلمات الآيات القرآنية.

(٥) ذكرت إعراب كل مقطع من الآيات القرآنية؛ حيث إن الإعراب فرع المعنى.

(٦) قمت بذكر ما تيسر من اللطائف البيانية، والصور البلاغية التي حوتها آيات السورة.

(٧) قمت بعرض القضايا والمسائل التفسيرية التي اشتملت عليها آيات السورة.

(٨) عزوت الآيات القرآنية الواردة في البحث إلى سورها، بذكر اسم السورة، ورقم الآية في صلب البحث، تخفيفاً على الحاشية.

(٩) قمت بتخريج الأحاديث الواردة في البحث من مصادرها الأصيلة، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بعزوه إليهما أو إلى أحدهما.

(١٠) وثقت القراءات القرآنية من مصادرها الأصيلة، مع توجيه هذه القراءات من كتب توجيه القراءات وغيرها ما أمكن.

(١١) وثقت النصوص المنقولة توثيقاً علمياً دقيقاً من مصادرها الأصلية بذكر الجزء والصفحة.

(١٢) ذكرت المرجع أو المصدر ومؤلفه ورقم الجزء والصفحة لأول مرة بدون توثيق كامل مكتفياً بذكر هذا التوثيق في فهرس المصادر والمراجع طلباً للاختصار وتقديراً لوقت القارئ الكريم.

(١٣) قمت بذكر أهم الدروس المستفادة من السورة الكريمة وذلك في خاتمة البحث.

(١٤) قمت بإعداد فهرس للمراجع، وفهرس للموضوعات.

الدراسات السابقة

١- **(سورة الأعلى دراسة تحليلية وموضوعية)** للباحث: إيهاب عبده محمد حيدرة باقي، وهي رسالة مقدمة إلى مجلس كلية التربية – جامعة عدن- وهي جزء من متطلبات الحصول على درجة الماجستير في الدراسات الإسلامية وذلك في عام (١٤٣٥ -٢٠١٤) والحق أني لم أستطع الاطلاع عليها أو تنزيلها من على شبكة الإنترنت بعد محاولات عديدة فما أعرف منها إلا عنوانها.

هذا وقد حاولت – قدر طاقتي – أن يكون تفسيري لهذه السورة الكريمة سهلاً واضحاً مفهوم العبارة، بعيداً عن الغموض والإبهام، وافي الغرض فيما سيق لأجله، وبذلت فيه حسب ظني قصارى جهدي، فإن كان صواباً فهو فضل من الله، وإن كان غير ذلك فإن التقصير من نفسي، والله من وراء القصد وهو الهادي إلى سواء السبيل.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

تمهيد

التعريف بالسورة الكريمة

وفيه سبعة مطالب

المطلب الأول
أسماء السورة الكريمة، ووجه التسمية:

سميت هذه السورة الكريمة بأربعة أسماء:

الاسم الأول: (سورة الأعلى) وهي المسماة به في المصاحف وأكثر التفاسير.

قال الفيروز آبادي: سمّيت سورة الأَعلى؛ لمفتتحها(١)، وقال الطاهر ابن عاشور: سماها أكثر المفسرين وكتاب المصاحف «سورة الأعلى» لوقوع صفة الأعلى فيها دون غيرها(٢)(٣).

ولعل تسميتها بهذا الاسم الجليل حيث يتجلى فيها معنى اسم الله الأعلى، فقد خلق الخلق وجعلهم في أحسن هيئة وأجمل صورة، وقدَّر أرزاقهم، وهدى كل كائن إلى ما يصلحه في معاشه ومعاده، والخلق والتسوية والتقدير والهداية على وجه العموم لا تختص بنوع دون نوع أو جنس دون جنس.

الاسم الثاني: سورة {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١] حيث تسمى باسم الآية الأولى منها.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٥١٤/١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧١/٣٠).

(٣) كلام العلامة ابن عاشور يحتاج إلى مراجعة حيث وقعت الأعلى صفة في قوله: {**إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى**} [الليل: ٢٠].

وذكرت بهذا الاسم في السنة النبوية المطهرة، فعن جابر بن عبد الله (ﷺ) أن معاذ بن جبل (ﷺ)، كان يصلي مع النبي (ﷺ)، ثم يأتي قومه فيصلي بهم الصلاة، فقرأ بهم البقرة، قال: فَتَجَوَّزَ[1] رجل فصلى صلاة خفيفة، فبلغ ذلك معاذاً، فقال: إنه منافق، فبلغ ذلك الرجل، فأتى النبي (ﷺ) فقال: يا رسول الله، إنا قوم نعمل بأيدينا، ونسقي بنواضحنا، وإن معاذا صلى بنا البارحة، فقرأ البقرة، فتجوَّزت، فزعم أني منافق، فقال النبي (ﷺ): "يا معاذ، أفتان أنت - ثلاثا - اقرأ: {**وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا**} {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} ونحوها[2].

وذكرها بهذا الاسم جمع من المفسرين منهم الطبري والماتريدي والعز بن عبد السلام وعزاه السيوطي في الدر المنثور إلى عبد الله ابن الزبير (ﷺ)[3].

قال الطبري: آخر تفسير سورة سبح اسم ربك الأعلى[4].

الاسم الثالث: سورة {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ**} وذكرت بهذا الاسم في السنة النبوية المطهرة أيضاً فعن عائشة (ﷺ) قالت: نزلت سورة {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ**} بمكة[5].

---

(١) (**فَتَجَوَّزَ**) خفف، وقيل انحاز وصلى وحده. صحيح البخاري (٢٧/٨) [تعليق مصطفى البغا].

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولا أو جاهلا، (٢٦/٨) (٦١٠٦) وودت أحاديث أخرى للدلالة على هذا الاسم سأذكرها عند الحديث عن فضل السورة الكريمة.

(٣) جامع البيان (٣٧٧/٢٤)، تأويلات أهل السنة (٥٠٠/١٠)، تفسير العز (٤٤٢/٣)، الدر المنثور (٤٧٩/٨).

(٤) جامع البيان (٣٧٧/٢٤).

(٥) الدر المنثور (٤٧٩/٨).

الاسم الرابع: سورة {سَبِّحِ} وذكرها بهذا الاسم من المفسرين البيضاويّ وابن كثيرٍ وابن حجر والشوكاني والألوسي(١).

قال الطاهر ابن عاشور معللاً: لأنها اختصت بالافتتاح بكلمة {سَبِّحِ}بصيغة الأمر(٢).

المطلب الثاني
عدد آياتها وكلماتها وحروفها وفواصلها

عدد آياتها: تسع عشرة آية في جميع العدد ليس فيها اختلاف(٣)، وأما كلماتها: فهي اثنتان وسبعون كلمة ككلم العلق(٤)،وحروفها مائتان وإِحدى وسبعون، وفواصل آياتها على الأَلف(٥).

(١) تفسير البيضاوي (٣٥٥/٥)، تفسير ابن كثير (٣٧٦/٨)، فتح الباري (٢٤٩/٢) فتح القدير (٥١٣/٥)، روح المعاني (٣١٣/١٥).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧١/٣٠).

(٣) بغير البسملة.

(٤) البيان في عد آي القرآن (ص: ٢٧١).

(٥) بصائر ذوي التمييز (٥١٤/١).

المطلب الثالث
ترتيبها

سورة الأعلى هي السورة السابعة والثمانون في ترتيب المصحف الشريف، كُتبت فيه بعد سورة الطارق وقبل سورة الغاشية.

وأما ترتيب نزولها فهي السورة السابعة، نزلت بعد سورة "التكوير"، وقبل سورة "الليل"[١].

وعلى هذا فهي من أوائل ما نزل من القرآن على وجه العموم، وأوائل ما نزل بمكة على وجه الخصوص. ومن المعلوم أن الترتيب المصحفي هو الأشهر عند القراء والمفسرين وغيرهم لكونه توقيفي وهو ما رجحه صاحب الإتقان فبعد أن ذكر أقوال العلماء في المسألة قال: مما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء وكذا الطواسين ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها وفصل بين طسم الشعراء وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما ولو كان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء وأخرت طس عن القصص، والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال ولا ينبغي أن يستدل بقراءته سوراً ولاء على أن ترتيبها كذلك وحينئذ فلا يرد حديث قراءته النساء قبل آل عمران[٢] لأن

---

(١) ذكر ذلك البيهقي في دلائل النبوة عن عكرمة والحسن بن أبي الحسن، كما أخرج ذلك ابن الضريس في فضائل القرآن ص(٩٩) (١٧) إلا أن ابن الضريس عدَّها الثامنة. ينظر: الإتقان: النوع الأول: في معرفة المكي والمدني (١/٤٠).

(٢) يعني ما روي عن حذيفة (رضي الله عنه)، قال: صليت مع النبي (ﷺ) ذات ليلة، فافتتح البقرة، فقلت: يركع عند المائة، ثم مضى، فقلت: يصلي بها في ركعة، فمضى، فقلت: يركع بها، ثم افتتح النساء، فقرأها، ثم افتتح آل عمران، فقرأها، يقرأ مترسلا، إذا مر بآية=

ترتيب السور في القراءة ليس بواجب فلعله فعل ذلك لبيان الجواز[١].

وما يزيد الأمر يقيناً ما روي عن زيد بن ثابت (ﷺ) قال: "كنا عند رسول الله (ﷺ) نؤلف[٢] القرآن من الرقاع[٣]، فهذا يدل على أن القرآن رتبت آياته وسوره بين يدي رسول (ﷺ) وقبل أن يلحق بالرفيق الأعلى.

=فيها تسبيح سبح، وإذا مر بسؤال سأل، وإذا مر بتعوذ تعوذ، ثم ركع، فجعل يقول: «سبحان ربي العظيم»، فكان ركوعه نحوا من قيامه، ثم قال: «سمع الله لمن حمده»، ثم قام طويلا قريبا مما ركع، ثم سجد، فقال: «سبحان ربي الأعلى»، فكان سجوده قريبا من قيامه. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل (٥٣٦/١) (٧٧٢).

(١) الإتقان في علوم القرآن (٢١٩/١).

(٢) الرقاع بكسر الراء مشددة جمع رقعة بضمها وهي الخرقة من الثياب والمعنى أنهم كانوا يجمعون ما كتب من القرآن في هذه الرقاع لقلة القراطيس عندهم. الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني (٣٠/١٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الأنصار، حديث زيد بن ثابت، عن النبي (ﷺ) (٤٨٤/٣٥)(٢١٦٠٧) وابن حبان في صحيحه، كتاب العلم، ذكر إباحة تأليف العالم كتب الله جل وعلا (٣٢٠/١)(١١٤) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

المطلب الرابع
نوع السورة الكريمة

اختلف المفسرون في نوع السورة الكريمة على أقوال:

القول الأول: أنها من السور المكية الخالصة، نزلت قبل الهجرة النبوية. وهذا قول الجمهور(١)، وحكى ابن الجوزي الإجماع عليه(٢)، ونص على مكيتها من المفسرين الزجاج والواحدي والبغوي والزمخشري والرازي والبيضاوي وابن جزي وابن كثير وأبو السعود وغيرهم(٣).

من أدلة القائلين بهذا القول ما روي عن البراء (رضي الله عنه) قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي (ﷺ) مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار، وبلال، وسعد ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين ثم " جاء النبي (ﷺ) فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء، فرحهم به حتى رأيت الولائد والصبيان، يقولون: هذا رسول الله (ﷺ) قد جاء فما جاء، حتى قرأت: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى**} [الأعلى: ١] في سور مثلها"(٤).

القول الثاني: أنها كلها مكية إلا هاتين الآيتين: {**قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤)**

---

(١) المحرر الوجيز(٤٦٨/٥)، تفسير القرطبي (١٣/٢٠)، اللباب (٢٧٢/٢٠)، فتح القدير (٥١٣/٥).

(٢) زاد المسير (٤٣١/٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٥/٥)، التفسير الوسيط (٤٦٨/٤)، تفسير البغوي (٢٤٠/٥)، الكشاف (٧٣٧/٤)، التفسير الكبير (١٢٥/٣١)، أنوار التنزيل (٣٠٥/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٣/٢)، تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٧٠/٨)، إرشاد العقل السليم (١٤٣/٩).

(٤) أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ } [الانشقاق: ١٩] (١٦٨/٦) (٤٩٤١).

وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} [الأعلى: ١٤، ١٥][١].

قال ابن حجر: يمكن أن يكون نزول هاتين منها وقع بالمدينة وأقوى منه أن يتقدم نزول السورة كلها بمكة ثم بين النبي (ﷺ) أن المراد بصلى صلاة العيد وبتزكي زكاة الفطر فإن تأخير البيان عن وقت الخطاب جائز[٢].

القول الثالث: أنها مدنية لذكر صلاة العيد وزكاة الفطر فيها. قاله الضحاك وعطاء وابن سيرين[٣].

ودليلهم ما روي عن كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف، عن أبيه، عن جده (رضي الله عنه) عن النبي (ﷺ) أنه كان يأمر بزكاة الفطر يوم الفطر، قبل أن يصلي صلاة العيد، ويتلو هذه الآية **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}** [الأعلى: ١٤، ١٥][٤].

يمكن الإجابة على هذا الدليل بما يأتي:

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧١/٣٠).

(٢) فتح الباري (٢٦٢/٧).

(٣) ابن أبي حاتم (٣٤١٨/١٠)، تفسير السمعاني (٢٠٦/٦)، الكشاف(٧٣٧/٤)، تفسير القرطبي (١٣/٢٠)، اللباب (٢٧٢/٢٠)، فتح القدير(٥١٣/٥)، التحرير والتنوير (٢٧١/٣٠)، التفسير الوسيط (٣٥٩/١٥).

(٤) أخرجه البزار في مسنده، مسند عمرو بن عوف عن النبي (ﷺ) (٣١٣/٨)(٣٣٨٤) قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه بهذا اللفظ عن النبي (ﷺ) إلا عمرو بن عوف، ولا نعلم حدثه عن عمرو بن عوف إلا ابنه عبد الله بن عمرو، ولا حدثه عن عبد الله بن عمرو إلا كثير بن عبد الله. وأورده الهيثمي وقال: رواه البزار، وفيه كثير بن عبد الله، وهو ضعيف. وقال الأعظمي: إسناده ضعيف جدا كثير بن عبد الله متهم بالكذب. المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٩٧/٩) وقال الشوكاني: كثير بن عبد الله ضعيف جدا، قال فيه أبو داود: هو ركن من أركان الكذب. فتح القدير (٥١٨/٥).

(١) الحديث ضعيف من ناحية السند ففي سنده كثير بن عبد الله، وهو متهم بالكذب.

(٢) على فرض أن المراد بهاتين الآيتين صلاة العيد وزكاة الفطر، فهذا لا يلزم منه أن تكون السورة مدنية، بل هذا من جملة المعاني التي تحتملها الآيتان ولم تنزلا للمشروعية على وجه الخصوص، وإنما تُذكر الآيتان على سبيل الاستشهاد.

وبعد ذكر الأقوال في نوع السورة وأدلتها أرى – والله أعلم– أن القول بأن السورة مكية بتمامها هو الراجح لما يأتي:

(١) لحديث معاذ بن جبل (ﷺ) فهو حديث صحيح صريح في كون السورة مكية، بل نص معاذ بن جبل (ﷺ) على ذلك فقال: «تعلمت **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** قبل أن يقدم النبي (ﷺ)»[(١)].

(٢) ذكر صاحب الإتقان أنها من القرآن الذي نزل بمكة ونقل إلى المدينة حيث قال: مثال ما حمل من مكة إلى المدينة سورة يوسف والإخلاص، قلت: {سَبِّحِ} كما تقدم في حديث البخاري[(٢)].

(٣) من الآيات الدالة على ذلك قوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** [الأعلى: ٦] ذكر الطاهر ابن عاشور أن هذه الآية من أقوى الدلائل على كونها مكية فقال: ما اشتملت عليه من المعاني يشهد لكونها مكية وحسبك بقوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}**[(٣)].

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب تأليف القرآن (١٨٥/٦) (٤٩٩٥) يعني إلى المدينة مهاجراً.

(٢) الإتقان في علوم القرآن (٧١/١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧٢/٣٠).

(٤) من الآيات الدالة على ذلك أيضاً قوله:{**صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى**} [الأعلى: ١٩] فقد ذَكَّر القرآن العرب بأن بعض ما جاء في السورة الكريمة مما جاء في صحف أبيهم إبراهيم (ﷺ)، فإن كنتم تعتزون بأبيكم إبراهيم وتفتخرون بالانتساب إليه كما تزعمون فإن ما جاء به محمد (ﷺ) من جنس ما جاء به إبراهيم (ﷺ) فلم لا تؤمنون؟ ومن خطاب القرآن لهؤلاء: قوله–تعالى– {**وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ**} [البقرة: ١٣٥].

(٤) أن ترتيبها السابع في ترتيب السور المكية.

(٥) أن هذا قول الجمهور نص عليه جمع غفير من المفسرين، وساق ابن الجوزي الإجماع عليه.

(٦) قصر آياتها، ومعانيها أشبه بالسور المكية.

(٧) الحديث الذي استدل به أصحاب القول الثالث مع ضعفه هو من باب تفسير القرآن بالسنة، وهو مذكور على سبيل الاستشهاد.

المطلب الخامس
فضل السورة الكريمة

ورد في فضل هذه السورة الكريمة مجموعة من الأحاديث منها الصحيح ومنها الضعيف وسوف أقتصر على الصحيح ففيه غنية وكفاية في الدلالة على فضلها وإن لم يكن صريحاً:

منها ما روي عقبة بن عامر الجهني (ﷺ) يقول: لما نزلت {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**} [الواقعة: ٧٤] قال لنا رسول الله (ﷺ): "اجعلوها في ركوعكم" فلما نزلت: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١] قال لنا رسول الله (ﷺ): "اجعلوها في سجودكم"(١).

ومنها ما رواه النعمان بن بشير (ﷺ)، قال: «كان رسول الله (ﷺ) يقرأ في العيدين، وفي الجمعة بـــ {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**}، {**هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ**}»، قال: «وإذا اجتمع العيد والجمعة، في يوم واحد، يقرأ بهما أيضا في الصلاتين»(٢).

ومنها ما روي عن ابن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه، عن النبي (ﷺ) "أنه كان يقرأ في الوتر بـــ {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} {**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ**} {**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**}، فإذا سلم قال: سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، سبحان الملك القدوس، ورفع بها صوته"(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الشاميين، حديث عقبة بن عامر الجهني عن النبي (ﷺ) (٦٣٠/٢٨)(١٧٤١٤)، وابن ماجة في سننه، أبواب إقامة الصلوات والسنة فيها، باب التسبيح في الركوع والسجود (٥٧/٢)(٨٨٧) قال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجمعة، باب ما يقرأ في صلاة الجمعة، (٥٩٨/٢) (٨٧٨).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده، مسند المكيين، عبد الرحمن بن أبزى الخزاعي=

ومنها ما رواه عباد بن العوام، عن سعيد بن جبير، قال: حدثني أبو عوانة، عن أنس (ﷺ) «أن النبي (ﷺ)» قرأ في الظهر {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١]"[(١)].

ومما سبق يتضح منزلة تلك السورة فقد أمرنا رسول الله (ﷺ) أن نجعل الآية الأولى منها في سجودنا وكان يصلي بها في الوتر والعيدين والجمعة والظهر وإذا اجتمع العيد والجمعة صلى فيهما بها.

=(٧٢/٢٤)(١٥٣٥٤) قال: شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وأخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب قيام الليل وتطوع النهار، القراءة في الوتر وذكر الاختلاف في ذلك (١٦٦/٢) (١٤٣٤).

(١) جزء القراءة خلف الإمام للبخاري (ص: ٦٨).

المطلب السادس
مناسبة السورة لما قبلها

تقع سورة الأعلى بين سورتي الطارق والغاشية والسور الثلاث مكيات من المفصل، وعلم المناسبات من العلوم التي تحتاج إلى روية وإعمال فكر وتكرار نظر، وفيها من اللطائف والنكات ما فيها ولذلك قال الرازي: أكثر لطائف القرآن مودعة في الترتيبات والروابط[1]، فقد رتب كلامه – سبحانه– على نحو معجز ومما أدركه علماؤنا في مناسبة هذه السورة لما قبلها ما يأتي:

(١) في سورة الطارق ذكر خلق النبات والإنسان في قوله: {**وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ**} [الطارق: ١٢] وقوله: {**فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ (٧) إِنَّهُ عَلَى رَجْعِهِ لَقَادِرٌ (٨)**} [الطارق: ٥ – ٨]، وذكره في هذه السورة في قوله: {**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**} [الأعلى: ٢] وقوله في النبات: {**وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)**} [الأعلى: ٤ – ٦]، وقصة النبات في هذه السورة أبسط، كما أن قصة الإنسان هناك أبسط، نعم، ما في هذه السورة أعم من جهة شموله للإنسان وسائر المخلوقات[2].

(٢) لما قال سبحان مخبراً عن عَمَه الكفار في ظلام حيرتهم أنهم يكيدون كيداً، وكان وقوع ذلك من العبيد المحاط بأعمالهم ودقائق أنفاسهم وأحوالهم من أقبح مرتكب وأبعده عن المعرفة بشيء من عظيم أمر الخالق (ﷻ)، أتبع سبحانه ذلك بأمر نبيه (ﷺ) بتنزيه ربه الأعلى عن شنيع اعتدائهم وإفك افترائهم فقال: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١][3].

---

(١) التفسير الكبير (١١٠/١٠).

(٢) أسرار ترتيب القرآن (ص: ١٥٧).

(٣) البرهان في تناسب سور القرآن (ص: ٣٦١) بتصرف.

المطلب السابع
من أغراض ومقاصد السورة الكريمة

(١) الأمر بتنزيه الرب– سبحانه– فهو الأعلى منزلة ومكانة.

(٢) بيان قدرة الله– سبحانه– فقد خلق الخلق على أحسن هيئة وأجمل صورة.

(٣) الإشارة إلى عظمته في هداية مخلوقاته، فهدى كل مخلوق إلى ما يصلح به أمره، وينتظم به حاله.

(٤) من دلائل قدرة الله–سبحانه– خروج النبات غضاً طرياً شديد الخضرة ثم يصير يابساً مما يدل على قدرته على البعث، وهذا يشبه المثل الذي ضربه الله للدنيا في كتابه الكريم.

(٥) تبشير النبي (ﷺ) بأنه لا ينسى شيئاً مما أنزله الله عليه إلا حسب مشيئته –سبحانه– فهو عالم السر وأخفى.

(٦) بيان أن الذي سينتفع بالذكرى هم أصحاب الخشية ولذلك حكى الله عن أهل النار فقال سبحانه: {**وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ (١٠) فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ (١١) إِنَّ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ (١٢)**} [الملك: ١٠ – ١٢].

(٧) من علامات الشقاء عدم الانتفاع بالذكرى، ويوم القيامة يدخل الأشقى النار الكبرى فلا هو يموت فيستريح، ولا يحي حياة يتنعم بها فالجزاء من جنس العمل.

(٨) تزكية النفس بالإيمان والأعمال الصالحة من ذكر لله وصلاة يترتب عليه الفلاح في الدنيا والآخرة.

(٩) العاقل هو من يؤثر الآخرة على الدنيا فالدنيا دنية فانية والآخرة شريفة باقية.

(١٠) بعض السورة من المحكم الذي جاءت به شريعة إبراهيم وموسى (عليهما السلام).

قال الفيروزآبادى: مقصود السّورة: بيان عُلُوّ الذات، والصّفات، وذكر الخِلْقة، وتربية الحيوانات، والإِشادة بالثمار، والنبات، والأَمنُ مِن نَسْخ الآيات، وبيان سهولة الطاعات، وذل الكفَّار في قَعْر الدّركات، والتحضيض على الصّلاة والزَّكات، وفى الدّنيا بقاءُ الخيرات، وفى الآخرة بقاءُ الدّرجات، في قوله: {**والآخرة خَيْرٌ وأبقى**}[١].

وقال الطاهر ابن عاشور: اشتملت على تنزيه الله تعالى والإشارة إلى وحدانيته لانفراده بخلق الإنسان وخلق ما في الأرض مما فيه بقاؤه، وعلى تأييد النبيء (ﷺ) وتثبيته على تلقي الوحي، وأن الله معطيه شريعة سمحة وكتاباً يتذكر به أهل النفوس الزكية الذين يخشون ربهم، ويعرض عنهم أهل الشقاوة الذين يؤثرون الحياة الدنيا ولا يعبأون بالحياة الأبدية، وأن ما أوحي إليه يصدقه ما في كتب الرسل من قبله وذلك كله تهوين لما يلقاه من إعراض المشركين[٢].

وبعد الانتهاء من التعريف بالسورة الكريمة، ننتقل إلى الفصل الأول وهو بعنوان: الأمر بتنزيه الله – سبحانه– والاستلال على بيان عظمته وقدرته.

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٥١٤/١).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٢/٣٠).

الفصل الأول

الأمر بتنزيه الله – سبحانه- والاستلال على بيان عظمته وقدرته

قال – تعالى- {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} [الأعلى: ١ – ٦].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما تكلم ربنا – سبحانه- عن خلق الإنسان في سورة الطارق في قوله: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ (٥) خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ (٦) يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ} [الطارق: ٥ – ٧] وعن المطر في قوله: {وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ} [الطارق: ١١] وعن النبات في قوله: {وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ} [الطارق: ١٢] كأن قائلاً قال من خلق تلك الأشياء على تلك الحالة العجيبة فقال سبحانه: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى (٥)} حيث أمر بتنزيه نفسه وأتبع ذلك بالكلام عن الخلق والهداية على وجه العموم مما يجعل الإنسان يزداد تعظيماً وتنزيهاً له –سبحانه–.

قال أبو حيان: لما ذكر فيما قبلها {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ} [الطارق: ٥]، كأن قائلا قال: من خلقه على هذا المثال؟ فقيل: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}[1].

(١) البحر المحيط (٤٥٥/١٠).

المباحث العربية:

أولا: معاني المفردات:

{سَبِّحِ} السَّبْحُ: المرّ السّريع في الماء، وفي الهواء، يقال: سَبَحَ سَبْحاً وسِبَاحَةً، والتَّسْبِيحُ: تنزيه الله تعالى. وأصله: المرّ السّريع في عبادة الله تعالى، وجعل ذلك في فعل الخير كما جعل الإبعاد في الشّرّ، فقيل: أبعده الله، وجعل التَّسْبِيحُ عامّاً في العبادات قولاً كان، أو فعلاً، أو نيّةً(١)، والسُّبْحة من الصلاة: التطوع(٢).

{الْأَعْلَى} هو الله الذي هو أعلى من كل عال والعلاء الشرف(٣) فهو أعلى من أن يقاس به، أو يعتبر بغيره(٤).

{فَسَوَّى} السين والواو والياء أصل يدل على استقامة واعتدال بين شيئين (٥)،والتسوية بمعنى صنع الشيء سويًا أي إكمال حاله قال -تعالى- **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}** [الأعلى: ٢](٦).

{قَدَّرَ} أعطى كلّ شيء ما فيه مصلحته، وهداه لما فيه خلاصه، إمّا بالتّسخير، وإمّا بالتّعليم كما قال: **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: ٥٠](٧)، وقيل: أنه أحدث كل شيء إحداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية، فقدّره وهيأه لما يصلح له(٨).

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٢) بتصرف.
(٢) العين (١٥٢/٣).
(٣) تهذيب اللغة (١١٩/٣).
(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٥٨٣).
(٥) مقاييس اللغة (١١٢/٣).
(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٩٣٦/٢).
(٧) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٥٩).
(٨) تفسير الزمخشري (٢٦٣/٣).

{غُثَاءً} الغثاء، بالضم والمد: ما يحمله السيل من القَمَشِ، وكذلك الغثاء، بالتشديد، وهو أيضا الزبد والقذر، وحده الزجاج فقال: الغثاء الهالك البالي من ورق الشجر الذي إذا خرج السيل رأيته مخالطاً زبده، والجمع الأغثاء[١]، والمعنى المحوري تجمُّعُ ما هو هَشٌّ فاسدٌ أو عديمُ النفع طبقةً: كذلك القمش[٢].

{أَحْوَى} الأحوى: النبات الضارب إلى السواد لشدة خضرته، وهو أنعم ما يكون من النبات[٣]، ويجوز أن تكون **(أحوى)** بمعنى أسود أي من البِلَى وصفًا للغثاء الذي يصير إليه المرعى بعد تجاوز مرحلة التمام[٤] أي: الَّذِي قَدِ اسودّ عَنِ العِتق[٥].

ثانيا: الإعراب:

{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى} (سبّح) فعل أمر أي نزّه وفاعله مستتر تقديره أنت و**(اسْمَ رَبِّكَ)** مفعوله[٦]، و**(الْأَعْلَى)** في موضع خفض نعت لربك مجرور وعلامة الجرّ الكسرة المقدّرة أو نعت لـــ**(اسْمَ)**، والأولى أن يكون نعتاً لما عليه[٧].

وأري–والله أعلم– أن قوله: **(الْأَعْلَى)** تصلح نعتاً لقوله **(اسْمَ)** الواقع مضافاً وقوله: **(رَبِّكَ)** الواقع مضافاً إليه ودليل في سورة الرحمن قال –تعالى–: **{وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ}** [الرحمن: ٢٧] وقال –تعالى–: **{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**

---

(١) لسان العرب (١١٥/١٥).
(٢) المعجم الاشتقاقي المؤصل (١٥٥٥/٣).
(٣) تاج العروس (٤٩٧/٣٧).
(٤) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣٥٦/١).
(٥) معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٣).
(٦) إعراب القرآن وبيانه (٤٤٨/١٠).
(٧) إعراب القرآن للنحاس (١٢٦/٥).

ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٧٨] حيث جاءت (ذو) في الآية الأولى نعتاً للمضاف وهو قوله: (وَجْهُ) وجاءت نعتاً للمضاف إليه وفي الآية الثانية وهو قوله: (رَبِّكَ).

{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى} (الَّذِي) صفة ثانية للرب وجملة (خَلَقَ) صلة ومفعول (خَلَقَ) محذوف أي كل شيء والفاء عاطفة و(سوّى) عطف على (خَلَقَ)[١].

وذهب البعض أن قوله: (الَّذِي) لا يصح أن يقع صفة ثانية لـــ(رَبِّكَ) إذا كان قوله: (الْأَعْلَى) نعت لـــ لقوله:(اسْمَ)،بل تكون خبراً أو منصوبة على المدح، قال أبو حيان: قالوا: (الْأَعْلَى) يصح أن يكون صفة لـــ (رَبِّكَ)، وأن يكون صفة لـــ(اسْمَ) فيكون منصوباً، وهذا الوجه لا يصح أن يعرب (الَّذِي خَلَقَ) صفة لـــ(رَبِّكَ)، فيكون في موضع جر لأنه قد حالت بينه وبين الموصوف صفة لغيره. لو قلت: رأيت غلام هند العاقل الحسنة، لم يجز بل لا بد أن تأتي بصفة هند، ثم تأتي بصفة الغلام فتقول: رأيت غلام هند الحسنة العاقل. فإن لم يجعل: (الَّذِي) صفة لـــ(رَبِّكَ)، بل ترفعه على أنه خبر مبتدأ محذوف أو تنصبه على المدح، جاز أن يكون (الْأَعْلَى) صفة لاسم[٢].

{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى} (وَالَّذِي): معطوف على الموصول الأول وهو قوله: (الَّذِي خَلَقَ)، وجملة (قَدَّرَ) صلة الموصول لا محل لها من الإعراب، (فَهَدَى): معطوف على (قَدَّرَ)[٣].

{وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى} (وَالَّذِي): معطوف أيضًا على الموصول الأول،

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١٢٦/٥).

(٢) البحر المحيط (٤٥٥/١٠).

(٣) المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٤/٤)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٣/٣١).

وجملة **(أَخْرَجَ)** صلته، و **(الْمَرْعَى)** مفعول به لـــ **(أَخْرَجَ)**[١].

{فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى} **(فَجَعَلَهُ)**: (الفاء): عاطفة (جعله): فعل، وفاعل، ومفعول أول **(غُثَاءً)**: مفعول ثان لأن **(جعل)** بِمَعْنى صير[٢] **(أَحْوَى)**: صفة لـــ **(غُثَاءً)**، أو حال من **(الْمَرْعَى)**، وأُخِّر عنه لرعاية الفواصل[٣].

ورجح النحاس وأبو حيان والسمين الحلبي كون **(أَحْوَى)** صفة لـــ**(غُثَاءً)**[٤]، قال النحاس: هذا أولى بالصواب، وإنما يقع التقديم والتأخير إذا لم يصحّ المعنى على غيره ولا سيما وقد روى ابن أبي طلحة عن ابن عباس فجعله غثاء أحوى يقول: هشيما متغيّرا[٥].

وقال ابن هشام في المغني: قول بعضهم في **{أَحْوَى}** إنه صفة لغثاء وهذا ليس بصحيح على الإطلاق بل إذا فسر الأحوى بالأسود من الجفاف واليبس وأما إذا فسر بالأسود من شدة الخضرة لكثرة الري كما فسر **{مُدْهَامَّتَانِ}** [الرحمن: ٦٤] فجعله صفة لغثاء كجعل **{قَيِّمًا}** [الكهف: ٢] صفة لـــ **{عِوَجًا}** [الكهف: ١] وإنما الواجب أن تكون حالا من **(الْمَرْعَى)** وأخر لتناسب الفواصل[٦]، وسوف أذكر عند تفسير الآيات الراجح من القولين– إن شاء الله

---

(١) إعراب القرآن وبيانه (٤٤٩/١٠) تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٣/٣١).

(٢) مشكل إعراب القرآن لمكي (٨١٣/٢).

(٣) إعراب القرآن للنحاس (١٢٧/٥)، إعراب القرآن للأصبهاني (ص: ٥١٦)، البحر المحيط (٤٥٦/١٠)، الدر المصون (٧٦٠/١٠).

(٤) إعراب القرآن للنحاس (١٢٧/٥)، البحر المحيط (٤٥٦/١٠)، الدر المصون (٧٦٠/١٠).

(٥) إعراب القرآن للنحاس (١٢٧/٥).

(٦) مغني اللبيب (ص: ٦٩٣).

تعالى-.

ثالثا: من الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

قوله: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} فيه براعة استهلال[1] حيث الافتتاح بأمر النبيء (ﷺ) بأن يسبح اسم ربه بالقول، يؤذن بأنه سيلقي إليه عقبه بشارة وخيراً له وذلك قوله: {**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**} [الأعلى: ٦] [2]. قوله: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**} [الأعلى: ١ - ٤] تعددت الصفات هنا حيث وصف الرب -سبحانه- نفسه بعدة صفات وذلك من باب الثناء عليه بما هو أهله، وليس لعدم علم المخاطب بالموصوف - سبحانه-[3].

في قوله: {**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى**} [الأعلى: ٢ - ٤] في هذه الآيات عرف المسند إليه بالموصولية لبيان قدرته -تعالى- على الخلق والتسوية، والتقدير والهداية، وإخراج المرعى، فإن الذي يقدر على هذه الأشياء أحق بالتنزيه والتسبيح، فالتعريف بالموصولية كان

---

(١) براعة الاستهلال: هو أن يشتمل أول الكلام على ما يناسب الحال المتكلم فيه ويشير إلى ما سيق الكلام لأجله. الإتقان في علوم القرآن (٣٦٣/٣). الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١٤١/٢).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٢/٣٠).

(٣) من أغراض النعت: الثناء والمدح، وذلك إذا كان الموصوف معلومًا عند المخاطب. لا يحتاج إلى توضيح، وذلك كقوله تعال: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١]، فإنه ليس ثمة رب أسفل فتميزه منه بكلمة (**الأعلى**) فهو لا يحتاج إلى توضيح، وإنما ذكرت الصفة للثناء عليه وتعظيمه. ونحوه قوله تعالى: {**فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ**} [الواقعة: ٧٤] ونحو قولك: (جاء خالد القائد المظفر) ولست تقصد بذلك توضيحه وفصله من خالد آخر، وإنما تذكر ذلك للتعظيم والثناء. معاني النحو (١٨٢/٣).

سبباً في تعدد تلك الصفات، ولعل تعريف المسند إليه بالموصولية للتعظيم والامتنان بهذه النعم.

قال صاحب الطراز: ربما سيق[١] لتعظيم شأن القضية كقوله تعالى: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى (١) الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤)**} [الأعلى: ١ – ٤][٢].

قوله: {**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**} حذف مفعول (**خَلَقَ**) للتعميم وأن الفعل واقع على كل من يصح أن يقع عليه، وهو ما قدره جمهور المفسرين[٣].

وقد يكون الغرض من حذف إفادة تعلقه بمفعول فيجب تقديره بحسب القرائن[٤]، أي مفعولاً خاصاً، وسوف أذكر تقدير المفسرين لهذا المفعول الخاص عند تفسير قوله: {**الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى**}.

وقد يكون الغرض من حذف المفعول الاختصار لذكره في مواطن كثيرة منها قوله: {**وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ**} [الأعراف: ١١] وقوله: {**وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ**} [النور: ٤٥] وقوله: {**خَلَقَ الْإِنْسَانَ**} [الرحمن: ٣].

وقد يكون الغرض من حذف المفعول عدم الإلتفات إليه حيث يكون المراد إثبات الفعل للفاعل على وجه الإطلاق دون النظر إلى المفعول[٥].

---

(١) يعني التعريف بالموصول.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز (١٤٧/٣) بتصرف.

(٣) التحرير والتنوير (٢٧٥/٣٠)، خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني (ص: ٣٥٧).

(٤) الإيضاح في علوم البلاغة (١٥٣/٢).

(٥) قال عبد القاهر الجرجاني: أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية، فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين،=

وعطف جملة: **{فَسَوَّى}** بالفاء دون الواو للإشارة إلى أن مضمونها هو المقصود من الصلة وأن ما قبله توطئة له فالفاء للتفريع في الذكر [١].

قوله: **{وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}** ما قيل في حذف مفعول(خَلَقَ) من أغراض بلاغية هو بعينه ما يقال في حذف مفعول **(قَدَّرَ)** حيث حذف مفعولها للتعميم أو لإفادة تعلقه بمفعول واحد تدل عليه القرائن أو للاختصار أو لإثبات الفعل للفاعل دون الإلتفات إلى مفعوله.

عطف جملة: **{فَهَدَى}** بالفاء أيضاً، والقول في وجه عطف **(فهدى)** بالفاء مثل القول في عطف **(فَسَوَّى)** وعطف **(فهدى)** على **(قَدَّرَ)** عطف المسبب على السبب[٢].

قوله: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** إلى آخر السورة الكريمة فواصل مسجوعة[٣] مما يطلق عليه علماء البلاغة السجع المُطَرَّف[٤]، قال صاحب الطراز: الكلام

=من غير أن يتعرضوا لذكر المفعولين. فإذا كان الأمر كذلك، كان الفعل المتعدي كغير المتعدي مثلا، في أنك لا ترى له مفعولا لا لفظا ولا تقديرا. ومنه قوله تعالى: **{وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى (٤٣) وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا}** [النجم: ٤٣، ٤٤] وقوله: **{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى}** [النجم: ٤٨]، المعنى هو الذي منه الإحياء والإماتة والغناء والإقناء. وهكذا كل موضع كان القصد فيه أن تثبت المعنى في نفسه فعلا للشيء، فإن الفعل لا يعدى هناك، لأن تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى. دلائل الإعجاز ت شاكر (١٥٤/١) بتصرف.

(١) التحرير والتنوير (٢٧٥/٣٠).

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٦/٣٠) ما بين القوسين عبارة الطاهر.

(٣) السجع: اتفاق الفواصل في الكلام المنثور في الحرف أو في الوزن أو في مجموعهما. الطراز لأسرار البلاغة (١٢/٣).

(٤) إن اتفقا في الأعجاز من غير وزن سمى المطرف كقوله تعالى: **{مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا (١٣) وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا}** [نوح: ١٣، ١٤]. الطراز لأسرار البلاغة (١٢/٣).

المسجع أفصح وأبلغ من غير المسجع، فإتيان ما ليس مسجوعاً في القرآن يؤذن مع كونه غير مسجوع أنه في غاية الإعجاز مع عدم السجع وفى هذه دلالة على إعجازه من كل الوجوه، وقد ورد فيه التسجيع في الطويل، والقصير، والمتوسط، ... وأما المتوسط فكقوله تعالى: {**سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى**} [الأعلى: ١] إلى غير ذلك من الأساجيع المتوسطة التي ليست طويلة ولا قصيرة، ولا حاجة بنا إلى تكثير الأمثلة السجعية من القرآن، لأنها أكثر من أن تحصى بعد، أو تحصر بحد، فأما ما ورد من القرآن غير مسجوع فهو كثير، لكنه بالإضافة إلى ما هو مسجوع منه قليل(١).

والقول بوقوع السجع في القرآن وعدم وقوعه قضية خلافية بين العلماء، وأطلق المانعون على ذلك الفاصلة بدلاً من السجعة تأدباً مع كلام الله –سبحانه– إلا أن الخلاف بين العلماء خلاف لفظي، لكن الكل متفق على أن السجع الحسن له شروط منها: (أن تكون ألفاظه تابعة للمعانيه، وأن يكون مناسباً للغرض الذي سيق من أجله)(٢).

القراءات:

قرأ الجمهور: {**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**} بتشديد الدال(٣)، وحجتهم: قوله – تعالى–: {**وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيرًا**} [الفرقان: ٢](٤) وقرأ الكسائي: {**قَدَرَ**}

(١) الطراز لأسرار البلاغة (١٧/٣) بتصرف.

(٢) البرهان في علوم القرآن(٥٤/١)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح (٦٥٣/٤) ما بين القوسين كلام صاحب البغية.

(٣) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٦٨)، الحجة للقراء السبعة (٣٩٨/٦)، المبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٦٨).

(٤) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٦٨)، حجة القراءات (ص: ٧٥٨).

بالتخفيف[١]، وحجته: أنه طابق بين اللفظين فجعل «قدر» ك «هدى»[٢].

التفسير والبيان:

قوله: {سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}

التسبيح لفظة شرعية لا تطلق إلا على المولى (ﷻ) ولا تضاف لغيره، لكن الراغب الأصفهاني أضافها إلى علقمة في قول الشاعر: أَقُول لما جَاءَنِي فخره ..... سُبْحَانَ من عَلْقَمَة الفاخر[٣].

فقال: قيل: تقديره سبحان علقمة على طريق التّهكّم، فزاد فيه (من) ردّا إلى أصله، وقيل: أراد سبحان الله من أجل علقمة، فحذف المضاف إليه[٤].

لكن السمين الحلبي وابن عادل ضعفا ما ذهب إليه الراغب فقالا: فيه نظر[٥].

وردّه البغدادي في الخزانة حيث قال: الوجه الأول[٦] ضعيف لغة وصناعة: أما الأول فلأن العرب لا يستعملونه إلا مضافا إلى الله ولم يسمع إضافته إلى غيره، وأما صناعة فلأن من لا تزاد في الواجب عند البصريين، وسبحان في البيت للتعجب ومن داخلة على المتعجب منه، والأصل فيه أن يسبح الله تعالى

---

(١) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٦٨)، الحجة للقراء السبعة (٣٩٨/٦)، المبسوط في القراءات العشر (ص: ٤٦٨).

(٢) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٦٨)، حجة القراءات (ص: ٧٥٨).

(٣) هذا البيت من قصيدة لأعشى ميمون هجا بها علقمة بن علاثة الصحابي ومدح ابن عمه عامرا المذكور. جمهرة اللغة (٢٧٨/١)، خزانة الأدب للبغدادي (٢٤٦/٧).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٩٣).

(٥) الدر المصون (٢٥٩/١)، اللباب في علوم الكتاب (٥٠٩/١).

(٦) يريد أن الكلام على سبيل التهكم.

عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه[١].

ولم أقف على من قال بقول الراغب لكن العرب تقول: سبحان من كذا، أي ما أبعده أو عجباً له[٢]، دون القول بزيادة (من).

وذكر التسبيح في مواطن كثيرة في كتاب الله- سبحانه- تنزيهاً له عن أمور منها: تنزيهه -سبحانه- عن نسبة الولد فقال -تعالى-: **{وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ}** [البقرة: ١١٦]، وأن الملائكة ليسوا بنات الله فقال -تعالى-: **{وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ}** [النحل: ٥٧] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ويأتي التسبيح في القرآن كذلك عند ذكر الأمور العظام كما هو الحال في حادث الإسراء قال-تعالى-: **{سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا}** [الإسراء: ١] وعند إقبال الليل وإدبار النهار وعند إقبال النهار وإدبار الليل قال – تعالى-: **{فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ}** [الروم: ١٧] فالتسبيح على وجه العموم مطرد في القرآن كثيراً.

وكما أمرنا أن ننزه – سبحانه- بالقول أمرنا أن ننزه بالفعل فعن عقبة بن عامر الجهني (ﷺ) يقول: لما نزلت **{فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ}** [الواقعة: ٧٤] قال لنا رسول الله: "اجعلوها في ركوعكم" فلما نزلت: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** [الأعلى: ١] قال لنا رسول الله: "اجعلوها في سجودكم"[٣].

قال الطاهر بن عاشور: قد جعل من قوله تعالى: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** دعاء السجود في الصلاة إذ ورد أن يقول الساجد: سبحان ربي الأعلى، ليقرن

---

(١) خزانة الأدب للبغدادي (٣٩٨/٣).

(٢) مقاييس اللغة (١٢٥/٣)، المصباح المنير (٢٦٣/١).

(٣) سبق تخريجه (ص:٦).

أثر التنزيه الفعلي بأثر التنزيه القولي[١].

ويسن للقارئ إذا قرأ **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** أن يقول: سبحان ربي الأعلى وإن كان في الصلاة، روي ذلك عن جماعة من الصحابة[٢].

قال النووي: كان النبيّ (ﷺ) يحبها لكثرة ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات[٣] وأكثر السلف كانوا يواظبون على قراءتها في التهجد ويتعرفون بركتها[٤].

هذا ووقع خلاف بين المفسرين في المراد بقوله{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ}وهل كلمة (اسْمَ) أصلية أو صلة؟ وها هي أقوالهم:

القول الأول: المراد: نزه يا محمد اسم ربك الأعلى، أن تسمي به شيئًا سواه، ينهاه بذلك أن يفعل ما فعل المشركون من تسميتهم آلهتهم بعضها اللات وبعضها العزّى[٥].

وهذا القول رجحه الطبري وأبو حيان وأبو زهرة[٦].

قال الطبري: أولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: نزه اسم ربك أن تدعو به الآلهة والأوثان، لما ذكرت من الأخبار، عن رسول

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٥/٣٠).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (٤٦٩/٤) منهم علي وابن عباس وابن عمر وابن الزبير وأبو موسى وعبد الله بن مسعود (ﷺ). تفسير القرطبي (١٤/٢٠).

(٣) السراج المنير (٥١٩/٤).

(٤)غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٨٢/٦).

(٥) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٣/١٠)، الهداية الى بلوغ النهاية (٨٢٠٣/١٢)، النكت والعيون (٢٥١/٦)، المحرر الوجيز (٤٦٨/٥).

(٦) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤)، البحر المحيط (٤٥٥/١٠)، زهرة التفاسير (٥٠/١) بتصرف.

الله (ﷺ)، وعن الصحابة أنهم كانوا إذا قرءوا ذلك قالوا: سبحان ربي الأعلى، فَبَيَّن بذلك أن معناه كان عندهم معلوماً: عظم اسم ربك ونزهه[١].

وقال أبو حيان: الظاهر أن التنزيه يقع على الاسم، أي نزهه عن أن يسمى به صنم أو وثن فيقال له رب أو إله، وإذا كان قد أمر بتنزيهه اللفظ أن يطلق على غيره فهو أبلغ، وتنزيه الذات أحرى[٢].

وقال أبو زهرة: ليس المراد بالاسم الذات؛ لأنها مذكورة، كما قال تعالى: **{تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ}** [الرحمن: ٧٨]، وقوله تعالى: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** وهذا ما نميل إليه؛ لأنه لا يحتاج إلى تحول من المعنى الأصلي لكلمة الاسم إلى غيره، ولأن إطلاق الاسم على المسمى من قبيل المجاز، ولا يصار إلى المجاز إلا عند تعذر الحقيقة، ولو أطلق الاسم على المسمى، لكان تقديسا للذات العلية من غير إعلاء للاسم في ذاته[٣].

القول الثاني: المراد: صل باسم ربك، لا كما يصلي المشركون بالمكاء والتصدية. قاله ابن عباس (ﷺ)[٤].

قال ابن جزي: لما كان التسبيح باللسان لا بد فيه من ذكر الاسم أوقع التسبيح على الاسم، وهذا القول هو الصحيح، ويؤيد هذا ما روي عن ابن عباس (ﷺ) أن معنى سبح: صل باسم ربك أي صل واذكر في الصلاة اسم ربك[٥].

ولقد ذكر المفسرون كثيراً من الأقوال مفادها أن التنزيه والتعظيم والتمجيد

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤).

(٢) البحر المحيط في التفسير (٤٥٥/١٠).

(٣) زهرة التفاسير (٥٠/١) بتصرف.

(٤) المحرر الوجيز (٤٦٨/٥)، مفاتيح الغيب (١٢٥/٣١)، تفسير القرطبي (١٥/٢٠)، فتح القدير (٥١٤/٥).

(٥) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٣/٢).

وغير ذلك يقع على الاسم لأصالته وأن المراد منه التسمية، فالاسم هو المقصود لذاته[١].

القول الثالث: نزه الله عما يقول فيه المشركون كما قال-تعالى-: **{وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ}** [الأنعام: ١٠٨] وقالوا: معنى ذلك: سبح ربك الأعلى[٢].

ورجح هذا القول القرطبي والقاسمي ونسبه الخطيب الشربيني إلى الأكثرية[٣].

قال القرطبي: الأولى أن يكون الاسم هو المسمى[٤].

قال الخطيب: الأكثرون على أن المعنى: نزه ربك المحسن إليك فـ(اسم) زائد كقول لبيد:

إلى الحول ثم اسمُ السَّلامِ عليكما ** ومَن يَبكِ حَولاً كاملاً فقد اعتذرْ [٥][٦]

قال القاسمي: الاسم صلة، وسرّ إيراده أن المنوه به إذا كان في غاية العظمة، كثيرا ما تضاف ألفاظ التفخيم إلى اسمه، فيقال: سبح اسمه ومجد ذكره. كما يقال سلام على المجلس العالي. هذا ما ذكروه، وثمة وجه آخر وهو أن

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٦٧/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٣/١٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٦٩/٤)، زاد المسير (٤٣١/٤)، التفسير الكبير (١٢٥/٣١).

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٦٧/٢٤).

(٣) تفسير القرطبي (١٤/٢٠)، السراج المنير (٥١٩/٤)، محاسن التأويل (٤٥٤/٩).

(٤) تفسير القرطبي (١٤/٢٠).

(٥) البيت من الطويل، للبيد بن ربيعة في ديوانه ص ٢١٤. المعجم المفصل في شواهد العربية (١٩/٣) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات (ص: ٥١٤).

(٦) السراج المنير (٥١٩/٤) بتصرف.

الحق تعالى إنما يعرف بأسمائه الحسنى، لاستحالة اكتناه ذاته العلية، فأقحم تنبيها على ذلك[١].

ولقد ذكر المفسرون أقوالاً مؤدَّاها تنزيه الذات العلية وتعظيمها والصلاة لها، واختصاصها بالتوحيد[٢]، وكل ذلك منصب على الذات، وبهذا تكون كلمة (اسم) صلة، والمراد بها المسمى، فالاسم والمسمى واحد.

الرأي المختار:

ومما سبق من أقوال يتبين لي –والله أعلم– أن القول المختار أن كلمة (اسم) أصلية، وذلك لما يأتي:

(١) هو اختيار عدد من المفسرين منهم الطبري وأبو حيان وأبو زهرة.

(٢) القول بالأصالة أولى من القول بالزيادة، قال الطبري: غيرُ جائز إبطال حرف كان دليلاً على معنى في الكلام[٣].

(٣) القول بالحقيقة أولى من القول بالمجاز، قال ابن عبد البر: حمل كلام الله تعالى وكلام نبيه (ﷺ) على الحقيقة أولى[٤]، وقال ابن حزم: أما قوله تعالى: تعالى: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** [الأعلى: ١] فهو على ظاهره دون تأويل لأن التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله (ﷻ) هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك أن الله تعالى أمرنا أن ننزه اسمه الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب أو منطوقا به، وتسبيح الله

---

(١) محاسن التأويل (٤٥٤/٩).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٥/٥)، بحر العلوم (٥٧٠/٣)، تفسير القرآن العزيز (١٢٠/٥)، الكشف والبيان (١٨٣/١٠)، النكت والعيون (٢٥١/٦).

(٣) جامع البيان ت شاكر (٤٤٠/١).

(٤) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد (١٦/٥).

تعالى وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص[1].

قوله: {الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}:

إن الله -تعالى- لما أمرنا بتنزيهه بالقول في الآية الأولى أتبع ذلك بتنزيهه بالفعل حيث التفكر في الخلق والتسوية والتقدير والهداية وإخراج المرعي الذي تشتد خضرته ثم يصير بعد ذلك يابساً، وهذه الطريقة تدل على وجود الله -سبحانه -.

قال الرازي: اعلم أن الاستدلال بالخلق والهداية هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء (عليهم السلام) والدليل عليه ما حكى الله تعالى عن إبراهيم (عليه السلام)، أنه قال: **{الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ}** [الشعراء: ٧٨] وحكى عن فرعون أنه لما قال لموسى وهارون (عليهما السلام): **{قَالَ فَمَنْ رَبُّكُمَا يَا مُوسَى}** [طه: ٤٩]؟ قال موسى (عليه السلام): **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: ٥٠] وأما محمد (عليه السلام) فإنه تعالى أول ما أنزل عليه هو قوله: **{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ}** [العلق: ١، ٢] هذا إشارة إلى الخلق، ثم قال: **{اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ}** [العلق: ٣، ٤] وهذا إشارة إلى الهداية، ثم إنه تعالى أعاد ذكر تلك الحجة في هذه السورة، فقال: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}** [الأعلى: ٢، ٣] وإنما وقع الاستدلال بهذه الطريقة كثيرا لما ذكرنا أن العجائب والغرائب في هذه الطريقة أكثر، ومشاهدة الإنسان لها، واطلاعه عليها أتم، فلا جرم كانت أقوى في الدلالة[2].

وها هي أقوال العلماء في المراد بالخلق والتسوية:

القول الأول: أن المراد بذلك عموم الخلق.

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١٩/٥) بتصرف.

(٢) التفسير الكبير (١٢٨/٣١).

وهذا القول مال إليه الطبري والزمخشري وابن عطية والبيضاوي وغيرهم حيث قدروا مفعولاً عاماً[١].

قال الطبري: قوله: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}** يقول: الذي خلق الأشياء فسوى خلقها، وعدلها، والتسوية التعديل[٢].

القول الثاني: أن المراد بذلك الإنسان على وجه العموم.

ومال إلى هذا الزجاج والماتريدي والسمعاني وابن الجوزي وغيرهم، وذكروا في تسويته عدة وجوه[٣].

قال الزجاج: خلق الإنسان مستوياً أشهده على نفسه بأنه ربُّه وخلقه على الفطرة[٤].

وقال الماتريدي: قوله: **{الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى}** يحتمل أوجها: أحدها: أن يكون سواه على ما قدره، خلافاً لأفعال الخلق؛ لأن الفعل من الخلق يخرج مرة سوياً على ما قدر، ومرة بخلافه، أو يكون سوى الخلق كله في دلالة وحدانيته وشهادة ربوبيته، فما من خلق خلقه إلا إذا تفكر فيه العاقل، دلت خلقته على معرفة الصانع، ووحدانية الرب، أو سواه على ما فيه مصلحته ومنفعته، أو سواه على ما له خلق؛ ألا ترى أن الإنسان إذا أمر بالركوع والسجود خلقه من وجه يتمكن

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤)، الكشاف (٧٣٨/٤)، المحرر الوجيز (٤٦٨/٥)، أنوار أنوار التنزيل (٣٠٥/٥).

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٥/٥)، تأويلات أهل السنة (٥٠١/١٠)، تفسير السمعاني (٢٠٧/٦)، زاد المسير (٤٣١/٤).

(٤) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٥/٥).

من الركوع والسجود؛ فهذا معنى قولنا: إنه سواه على ما له خلق[١].

القول الثالث: أن المراد به آدام (عليه السلام) قاله الضحاك[٢]، بقرينة قَرْنِ فعل خلق بفعل «سوى» قال تعالى: **{فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ}** [الحجر: ٢٩][٣].

القول الرابع: يحتمل أن يراد به الحيوان،والمراد أنه أعطى كل حيوان ما يحتاج إليه من أعضاء وآلات وحواس[٤].

الرأي المختار:

ومما سبق من أقوال يتبين لي – والله أعلم– أن المختار هو القول الأول القائل بالعموم حيث إن المراد إثبات الخلق له– سبحانه– دون تخصيصه بخلق شيء دون شيء، وذلك لما يأتي:

(١) **أنه قول الجمهور، قال الطاهر ابن عاشور:** حذف مفعول خلق فيجوز أن يقدر عاماً، وهو ما قدره جمهور المفسرين[٥]، ومن قواعد الترجيح: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه[٦].

(٢) إن الأقوال الأخرى التي ذكرت هي من باب التفسير بالمثال فهي تندرج تحت القول بالعموم.

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥٠١/١٠).

(٢) النكت والعيون (٢٥٢/٦)، تفسير القرطبي (١٥/٢٠)، فتح القدير للشوكاني (٥١٤/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٧٥/٣٠).

(٤) التفسير الكبير (١٢٨/٣١)، اللباب في علوم الكتاب (٢٧٤/٢٠).

(٥) التحرير والتنوير (٢٧٥/٣٠).

(٦) التسهيل لعلوم التنزيل (١٩/١).

قوله: {وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى}:

إن من أفضل نعم الله نعمة الهداية، ولذا فإن الله –سبحانه– أمرنا أن ندعوا بها في كل ركعة من ركعات الصلاة، فنقول: **{اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}** [الفاتحة: ٦] وتأتي الهداية على أنواع منها ما يتعلق بالدنيا ومنها ما يتعلق بالآخرة، وذكر صاحب البصائر أنواع الهداية فقال: هداية الله تعالى للإنسان على أربعة أضرب: الأول: الهداية التي عم بها كل مكلف من العقل والفطنة والمعارف الضرورية، بل عم بها كل شيء حسب احتماله، كما قال تعالى: **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: ٥٠]، الثاني: الهداية التي جعلت للناس بدعائه إياهم على ألسنة الأنبياء وإنزال القرآن ونحو ذلك، وهو المقصود بقوله: **{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا}** [الأنبياء: ٧٣]، الثالث: التوفيق الذى يختص به من اهتدى، وهو المعنى بقوله: **{وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى}** [محمد: ١٧]، وقوله: **{وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ}** [التغابن: ١١]، الرابع: الهداية في الآخرة إلى الجنة، وهو المعنى بقوله: **{الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا}** [الأعراف: ٤٣][(١)].

هذا وقد ذكر المفسرون أقولاً كثيراً في المراد بالهداية في الآية الكريمة:

القول الأول: هدى الإنسان للشقوة والسعادة، وهدى الأنعام لمراتعها. قاله مجاهد[(٢)]، ولعل هداية الإنسان مأخوذة من قوله: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [البلد: ١٠] وقوله: **{فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا}** [الشمس: ٨] ولعل هداية الأنعام مؤخوذة من قوله: **{قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى}** [طه: ٥٠].

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٣١٣/٥).

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٦/١٠)، الكشف والبيان (١٨٣/١٠).

القول الثاني: هدى الذكور لمأتى الإناث. قاله مقاتل والكلبي[١].

القول الثالث: هداه السبيل إما شَاكِراً وَإما كَفوراً. قاله الزجاج.[٢] ولعله مؤخوذة من قوله تعالى: **{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا}** [الإنسان: ٣].

القول الرابع: قدّر فهدى وأضل، فاكتفى من ذكر الضلال بذكر الهدى لكثرة ما يكون معه، كقوله: **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}** [النحل: ٨١] [النحل: ٨١]. قاله الفراء[٣].

وهذا القول ردَّه ابن جزي حيث قال: هذا بعيد[٤].

القول الخامس: جعل لكل دابة ما يصلحها وهداها له. قاله عطاء[٥].

القول السادس: قدر الولد في الرحم تسعة أشهر أو أقل أو أكثر، وهدى للخروج من الرحم. قاله السدي[٦].

وإتماماً للفائدة: فإن الرازي خص هذه الهداية بأمر الدين دون الدنيا فقال: اعلم أن هذه الأقوال على كثرتها لا تخرج عن قسمين، فمنهم من حمل قوله: **{فَهَدَى}** على ما يتعلق بالدين كقوله: **{وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ}** [البلد: ١٠] ومنهم من حمله على ما يرجع إلى مصالح الدنيا، والأول أقوى، لأن قوله: **{الَّذِي خَلَقَ**

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٦٨/٢٤)، تفسير البغوي (٢٤١/٥)، المحرر الوجيز (٤٦٩/٥).

(٢) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٥/٥)، بحر العلوم (٥٧٠/٣).

(٣) معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٣)، التفسير الكبير (١٢٩/٣١).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢).

(٥) الكشف والبيان (١٨٣/١٠)، زاد المسير (٤٣١/٤)، تفسير القرطبي (١٥/٢٠)، فتح القدير (٥١٤/٥).

(٦) الكشف والبيان (١٨٣/١٠)، التفسير الوسيط (٤٦٩/٤)، تفسير السمعاني (٢٠٧/٦).

فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ} يرجع إلى أحوال الدنيا، ويدخل فيه إكمال العقل والقوى، ثم أتبعه بقوله: **{فَهَدَى}** أي كلفه ودله على الدين[١].

القول المختار:

هذه بعض الأقوال التي ذكرت في هذه الآية، ذكرت بعضها وتركت بعضها لأن الفعل **{فَهَدَى}** في الآية الكريمة يصلح أن يقع على ما ذكر وعلى غيره، حيث إن المفعول المحذوف عام، ومما سبق من أقوال يتبين لي –والله أعلم– أن كل ما ذكر هو من باب التفسير بالمثال، وهذا ما ذهب إليه الطبري والزمخشري وابن عطية وابن جزي وأبو حيان والشوكاني[٢].

قال الطبري: الصواب من القول في ذلك عندنا، أن الله عم بقوله: (فهدى) الخبر عن هدايته خلقه، ولم يخصص من ذلك معنى دون معنى، فالخبر على عمومه حتى يأتي خبر تقوم به الحجة، دال على خصوصه[٣].

وقال ابن عطية: هذه الأقوال مثالات، والعموم في الآية أصوب في كل تقدير وفي كل هداية[٤].

إذاً الهداية عامة لأمري الدنيا والآخرة وما ذكره العلماء من هو التفسير بالمثال، والنبي (ﷺ) كان يدعوا بالهداية في أمر الدنيا كما هو الحال في أمر الآخرة، فعن رافع بن سنان: أنه أسلم، وأبت امرأته أن تسلم، فأتت النبي (ﷺ) فقالت: ابنتي، وهي فطيم أو شبهه، وقال رافع: ابنتي، فقال له النبي (ﷺ) "اقعد

---

(١) التفسير الكبير (١٢٩/٣١).

(٢) جامع البيان (٣٦٩/٢٤)، الكشاف (٧٣٨/٤)، المحرر الوجيز (٤٦٩/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٤٥٦/١٠) فتح القدير (٥١٤/٥).

(٣) جامع البيان ت شاكر (٣٦٩/٢٤).

(٤) المحرر الوجيز (٤٦٩/٥).

ناحية" وقال لها: "اقعدي ناحية" قال: وأقعد الصبية بينهما، ثم قال: "ادعواها" فمالت الصبية إلى أمها، فقال النبي (ﷺ): "اللهم اهدها" فمالت إلى أبيها، فأخذها(١).

قوله: {وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى}

في هاتين الآيتين يبن ربنا -سبحانه- أنه أنبت العشب والكلأ الذي تكون به حياة الحيوان وهذا العشب الأخضر يصير بعدة فترة هشيماً يابساً تعبث به الريح مما يدل على قدرته -سبحانه- على الفناء بعد الإيجاد ونظير هذا قوله: **{وَاضْرِبْ لَهُمْ مَثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا}** [الكهف: ٤٥]، قال قتادة: هو مثل ضربه الله تعالى للكفار لذهاب الدنيا بعد نضارتها(٢).

هذا وقد اختلف العلماء في إعراب {أَحْوَى}هل هي نعت من {غُثَاءً} أو حال من {الْمَرْعَى}؟على قولين:

القول الأول: أنها نعت من **{غُثَاءً}** وعلى هذا يكون المعنى أنه جعل {الْمَرْعَى} هشيماً يابساً متغيراً إلى الحوة، وهي السواد من بعد البياض أو الخضرة. قاله علي و ابن عباس ومجاهد وقتادة وابن زيد (ﷺ)(٣).

وهذا القول يبقي ترتيب الآيتين على أصلهما بلا تقديم ولا تأخير، إذ لا

---

(١) سنن أبي داود ت الأرنؤوط، أول كتاب الطلاق، باب إذا أسلم أحد الأبوين مع من يكون الولد (٢٢٤٤) (٥٥٩/٣) وأخرجه ابن ماجه (٢٣٥٢) قال شعَيب الأرنؤوط: حديث صحيح، رجاله ثقات.

(٢) النكت والعيون (٢٥٣/٦).

(٣) جامع البيان (٣٦٩/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٦/١٠)، الهداية (٨٢٠٧/١٢)، النكت والعيون (٢٥٣/٦)، تفسير ابن كثير (٣٧٢/٨).

ضرورة تدعو إليه، وأن الكلام على بداية الشيء ونهايته، وهذا ما رجحه الطبري ومكي بن أبي طالب وابن جزي وأبو حيان وابن عادل(١).

القول الثاني: أنها حال من (المرعى) وعلى هذا يكون المعنى أخرج المرعى أحوى أي أخضر يضرب إلى الحوة من شدة الخضرة كما قيل: **{مُدْهَامَّتَانِ}** [الرحمن: ٦٤] أي سوداوان لشدة خضرتهما. قاله الفراء وأبو عبيدة(٢).

ومن رجح القول الأول من المفسرين ذهب إلى تضعف هذا القول منهم الطبري حيث قال: هذا القول وإن كان غير مدفوع أن يكون ما اشتدت خضرته من النبات، قد تسميه العرب أسود، غير صواب عندي بخلافه تأويل أهل التأويل في أن الحرف إنما يحتال لمعناه المخرج بالتقديم والتأخير إذا لم يكن له وجه مفهوم إلا بتقديمه عن موضعه، أو تأخيره، فأما وله في موضعه وجه صحيح فلا وجه لطلب الاحتيال لمعناه بالتقديم والتأخير(٣).

القول المختار:

ومما سبق من أقوال يتبين لي – والله أعلم– أن القول الأول هو المختار إذ الأصل عدم التقديم والتأخير، والاختيار هنا من باب الأفضل والأجمل دون ترك للقول الثاني وذلك لما يأتي:

(١) التقديم والتأخير من أجل رعاية الفاصلة وجه من وجوه البلاغة وموطن من مواطن الإعجاز في كتاب– الله. قال أبو حيان: حسن تأخير **{أَحْوَى}** لأجل

---

(١) جامع البيان (٣٧٠/٢٤)، الهداية (٨٢٠٧/١٢)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢) البحر المحيط (٤٥٦/١٠)، اللباب (٢٧٧/٢٠).

(٢) زاد المسير (٤٣٢/٤)، التفسير الكبير (١٣٠/٣١)، اللباب (٢٧٧/٢٠).

(٣) جامع البيان (٣٧٠/٢٤).

الفواصل[1].

(٢) لا يوجد إخلال بالمعني الأصلي فكلمة **{أَحْوَى}** جاءت في اللغة بمعنى شدة الخضرة قال ذو الرمةّ: حواءُ قرْحاءُ أشراطيةّ وكفتْ... فيها الذّهابُ وحفّتها البرَاعيمُ[2].

(٣) التقديم والتأخير في الآيتين لا يحدث خللاً في فهم المراد وهذا مجوّز للأمر.

قال ابن القيم: الكلام الطبيعي المعتاد الذي علمه الله للإنسان نعمة منه عليه أن يكون جارياً على المألوف المعتاد منه، فالمقدم مقدم والمؤخر مؤخر، فلا يأتون بالتقديم والتأخير إلا حيث لا يلتبس على السامع ولا يقدح في بيان مراد المتكلم، فهذا التقديم الذي لا يقدح في المعنى ولا في الفهم وله أسباب تحسنه وتقتضيه مذكورة في علم المعاني والبيان[3].

---

(١) البحر المحيط (٤٥٦/١٠).

(٢) يعنى: روضة مطرت بنوء الشرطين، وانما قال: "قرحاء" لأن في وسطها نورا أبيض وزهرا أبيض مأخوذ من قرحة الفرس، و "حواء" لخضرة نباتها. العباب الزاخر (٢٧١/١)، الإبانة في اللغة العربية (٧١٢/٣).

(٣) الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة (٧١٤/٢) بتصرف.

الفصل الثاني

من بشارات الرب العلي إلى النبي الأمي (ﷺ)

قال الله –تعالى–: {**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى**} [الأعلى: ٦ – ٨].

مناسبة الآيات لما قبلها:

أمر الله نبيه (ﷺ) في الآيات السابقة بالتسبيح، وفي هذه الآيات بشره بأن ييسر عليه حفظ كتابه فلا ينسى منه شيئاً، لكن أمر الحفظ ليس بالهين فهو يحتاج إلى معونة منه قال –سبحانه–: {**إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا**} [المزمل: ٥] لذا بشره بأن ييسره لليسرى التي منها حفظ كتابه العزيز الذي يحتوي على أوامره ونواهيه وحدوده –سبحانه– وهذا يحتاج إلى عزيمة من العبد ومعونة من الرب –سبحانه–.

سبب النزول:

قال مجاهد ومقاتل والكلبي: كان النبي (ﷺ) إذا نزل جبريل بالقرآن لم يفرغ من آخر الآية حتى يتكلم رسول الله (ﷺ) بأوله مخافة أن ينساها فأنزل الله تعالى: {**سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى**} فلم ينس بعد ذلك شيئا[1].

(١) جامع البيان (٣٧١/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٦/١٠)، الكشف والبيان (١٨٤/١٠)، تفسير البغوي (٢٤٢/٥)، التفسير الكبير (١٣٠/٣١) تفسير القرطبي (١٨/٢٠)، فتح القدير (٥١٥/٥)

المباحث العربية:

أولا: معاني المفردات:

قوله: **{فَلَا تَنْسَى}** النسيان: ترك الإنسان ضبط ما استودع، إما لضعف قلبه، وإما عن غفلة، وإما عن قصد حتى ينحذف عن القلب ذكره، يقال: نسيته نسياناً، وكل نسيان من الإنسان ذمه الله تعالى به فهو ما كان أصله عن تعمد(١).

قوله: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}** **(اليسر)** بسكون السين وضمها ضد العسر. و(الميسور) ضد المعسور. وقد يسره الله لليسرى أي وفقه لها(٢)، أو جريان الأمور بسهولة بلا عوائق مالية أو غير مالية(٣).

ثانيا: الإعراب:

قوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** **(سَنُقْرِئُكَ)** **(السين):** حرف استقبال **(نقرئك):** فعل مضارع ومفعول به، وفاعله مستتر يعود عليه-سبحانه- **(فلا تنسى): (الفاء):** عاطفة **(لا):** نافية، وقيل: ناهية، والألف إشباع في **(تنسى)**(٤)؛ وهي فعل مضارع، وفاعله مستتر يعود عليه (ﷺ) معطوف على **(نقرئك)**(٥).

قوله: **{إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}(إلا):** فيه أوجه، أحدها: أنه استثناء مفرغ(٦)، أي: إلا ما شاء الله أن ينسيكه فإنك تنساه، وقيل: هذا

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٨٠٣).

(٢) مختار الصحاح (ص: ٣٤٩).

(٣) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٩٨٩/٢).

(٤) التبيان في إعراب القرآن (١٢٨٣/٢) الدر المصون (٧٦١/١٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٧٨/٢٠).

(٥) إعراب القرآن وبيانه (٤٥١/١٠)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٣/٣١).

(٦) ما توقف الكلام قبله عن أن يتم دونه، فلا يتم إلا به من حيث القصد، وهذا هو الاستثناء المفرغ، أي فرغ العامل فيه لطلب ما بعد إلا فصار معربًا بحسب ما يطلبه. شرح ألفية ابن مالك للشاطبي (٣٤٤/٣)، فالاستثناء المفرغ يقتضي أن يكون الكلام غير تام، وغير موجب معا. ضياء السالك إلى أوضح المسالك (١٧٧/٢).

الاستثناء صلة في الكلام على سنة الله تعالى في الاستثناء[١] **{ما}**: اسم موصول في محل النصب مفعول **(تَنْسَى)**، وجملة **(شَاءَ اللَّهُ)** صلة لـــ **(ما)**، والعائد محذوف؛ أي: فلا تنسى شيئاً من الأشياء إلا شيئاً شاء الله تعالى نسيانك إياه، **(إِنَّهُ)**: ناصب واسمه **(يَعْلَمُ)**: فعل مضارع، وفاعل مستتر يعود عليه- سبحانه- **(الْجَهْرَ)**: مفعول به، وجملة **{يَعْلَمُ}** في محل الرفع خبر **(إنَّ)**، وجملة **(إنَّ)** مستأنفة مسوقة لتعليل ما قبلها، **(وَمَا)**: (مَا): اسم موصول في محل النصب معطوف على **(الْجَهْرَ)**، وجملة **(يَخْفَى)** صلة الموصول[٢].

قوله: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى} {ونيسرك}**: (الواو): عاطفة **(نُيَسِّرُكَ)** فعل مضارع وفاعله مستتر تقديره نحن والكاف مفعول به معطوف على **(سنقرئك)** فهو داخل في حيز التنفيس، وما بينهما من الجملة اعتراض، **(لِلْيُسْرَى)**: متعلق بـــ **(نُيَسِّرُكَ)**[٣].

ثالثا: من الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

قوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** من الحروف التي تخلص الفعل للاستقبال السين كما في **{سَنُقْرِئُكَ}** فالسين دالة على أن الإقراء يستمر ويتجدد وهي تفيد تأكيد حصول الفعل[٤]، وقيل تفيد الوعد[٥].

---

(١) إعراب القرآن للنحاس (١٢٧/٥)، الدر المصون (٧٦١/١٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٧٨/٢٠).

(٢) إعراب القرآن وبيانه (٤٥١/١٠)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٣/٣١).

(٣) الدر المصون (٧٦٣/١٠)، اللباب (٢٨١/٢٠)، إعراب القرآن وبيانه (٤٥١/١٠)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٣/٣١).

(٤) شرح التسهيل لابن مالك (٢٥/١)، شذا العرف في فن الصرف (ص: ١٣)، التحرير والتنوير (٢٨٠/٣٠).

(٥) إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم (١٤٤/٩)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (١٧٢/٢).

والالتفات بضمير المتكلم المعظم لأن التكلم أنسب بالإقبال على المبشر، وإسناد الإقراء إلى الله مجاز عقلي[١] لأنه جاعل الكلام المقروء وآمر بإقرائه[٢]. والفاء في قوله: **{فَلَا تَنْسَى}** للسببية[٣].

قوله: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** بين **{الْجَهْرَ}** **{وَمَا يَخْفَى}** طباق إيجاب ظاهر بين لفظين، وكذلك هذه الجملة القرآنية اعتراضية، قال الزمخشري: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}** معطوف على **{سَنُقْرِئُكَ}** وقوله: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** اعتراض[٤].

قوله: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}** عطف على **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** وهذا العطف من عطف الأعم على الأخص في المآل وإن كان مفهوم الجملة السابقة مغايرا لمفهوم التيسير لأن مفهومها الحفظ والصيانة ومفهوم المعطوفة تيسير الخير له[٥]وبين **{وَنُيَسِّرُكَ}** وبين **{لِلْيُسْرَى}** جناس الاشتقاق[٦]، وأتى بنون العظمة لتكون عظمة المعطي دليلًا على عظمة العطاء[٧].

---

(١) هو إسناد الفعل أو ما في معناه إلى غير ما هو له، لعلاقة، مع وجود قرينة تمنع إرادة الإسناد الحقيقي. علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني» (ص: ٢٣٣).

(٢) التحرير والتنوير (٣٠/٢٨٠).

(٣) البرهان في علوم القرآن (٤/٢٩٨).

(٤) الكشاف (٤/٧٣٩).

(٥) التحرير والتنوير (٣٠/٢٨١) بتصرف.

(٦) أن يجمع اللفظين الاشتقاق كقوله تعالى: **{فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ}** [الروم: ٤٣]. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٤/٦٤٧) حيث إنهما من أصل واحد.

(٧) التفسير المنير للزحيلي (٣٠/١٨٨)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣١/٣٦٧).

القراءات:

قوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** قال أبو عمرو الداني: روى الشَّمُّوني[1] عن الأعشى عن أبي عن أبي بكر **{سَنُقْرِئُكَ}** غير مهموز وبذلك قرأت[2].

التفسير والبيان:

قوله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}

هذه بشارة من الله-تعالى- لنبيه محمد (ﷺ) وآية ظاهرة على نبوته حيث ولد ونشأ (ﷺ) في بيئة غلب عليها الأمية لا تعرف من أمر الكتابة والقراءة إلا النذر اليسير، وكان جُل اعتمادها على الحفظ لكن الحفظ قد يعتريه النسيان لما يعرض للإنسان من مشاغل وهموم واهتمام بأمر دون أمر وفوق ذلك فإن النسيان أمر قدري قال -تعالى-: **{وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا}** [الحج: ٥]، لكن الله بشر نبيه (ﷺ) بأنه لا ينسى من أمر الوحي شيئاً، وتلك معجزة له (ﷺ) تُذهب ما كان في نفسه من خوف النسيان، فعن ابن عباس في قوله تعالى: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}** [القيامة: ١٦] قال: كان رسول الله (ﷺ) يعالج من التنزيل شدة، وكان مما يحرك شفتيه – فقال ابن عباس: فأنا أحركهما لكم كما كان رسول الله (ﷺ) يحركهما، وقال سعيد: أنا أحركهما كما رأيت ابن عباس يحركهما، فحرك شفتيه – فأنزل الله تعالى: **{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}** [القيامة: ١٦، ١٧] قال: جمعه لك في صدرك وتقرأه: **{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}** [القيامة: ١٨] قال:

---

(١) محمد بن حبيب أبو جعفر الشَّمُّوني الكوفي، مقرئ ضابط مشهور، أخذ القراءة عرضا عن أبي يوسف الأعشى وهو أجل أصحابه وأحذقهم، روى القراءة عنه عرضاً إدريس بن عبد الكريم، تلقن القرآن من الأعشى تلقينًا وكان يلقنه بالكوفة. معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار (ص: ١٢١) غاية النهاية في طبقات القراء(١١٥/٢).

(٢) جامع البيان في القراءات السبع (١٦٩٨/٤).

فاستمع له وأنصت: **{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ}** [القيامة: ١٩] ثم إن علينا أن تقرأه، فكان رسول الله (ﷺ) بعد ذلك إذا أتاه جبريل استمع فإذا انطلق جبريل قرأه النبي (ﷺ) كما قرأه(١).

ومن المعلوم أن هذه البشارة كانت في بداية الدعوة حيث إن هذه السورة نزلت بعد سورة التكوير وسورة التكوير نزلت بعد سورة المسد وسورة المسد نزلت في شأن أبي لهب وزوجته وكان ذلك في مكة في بداية الدعوة بعد أن صعد (ﷺ) على جبل الصفا، فعن ابن عباس ﷺ قال: لما نزلت: **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ}** [الشعراء: ٢١٤]، صعد النبي (ﷺ) على الصفا، فجعل ينادي: «يا بني فهر، يا بني عدي» - لبطون قريش - حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم، أكنتم مصدقي؟» قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: «فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد» فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: **{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (١) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}** [المسد: ١، ٢](٢).

وتلك المعجزة هداية خاصة من المولى - سبحانه- لنبيه (ﷺ) بعد ذكره - سبحانه- الهداية العامة في قوله: {**وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى**}.

لكن المفسرين اختلفوا في (لا) في قوله: {فَلَا تَنْسَى} هل هي نافية أو ناهية؟ وفي توجيه الاستثناء وهل هو مقصود أو غير مقصود في قوله: {إِلَّا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب بدء الوحي، كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله (ﷺ)؟ (٥)(٨/١).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، بَابُ **{وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ}** [الشعراء: ٢١٥] (٤٧٧٠)(١١١/٦).

مَا شَاءَ اللَّهُ}؟

أولا: أقوال المفسرين في نوع (لا):

القول الأول: أن **(لا)** في قوله:{**فَلَا تَنْسَى**}ناهية، وهذا القول ذكره عدد من المفسرين دون نسبته(١).

قال الزمخشري: قوله: {**فَلَا تَنْسَى**} على النهى، والألف مزيدة للفاصلة، كقوله: {**السَّبِيلَا**} [الأحزاب: ٦٧](٢) ولم أقف على من مال إليه إلا السمين الحلبي حيث قال: قيل: نهي، والألف إشباع، وقد تقدم نحو من هذا في يوسف(٣) وطه(٤)، ومنع مكي أن يكون نهياً لأنه لا ينهى عما ليس باختياره. وهذا غير لازم؛ إذ المعنى: النهي عن تعاطي أسباب النسيان، وهو شائع(٥).

القول الثاني: أن **(لا)** في قوله: {**فَلَا تَنْسَى**} نافية فقد وعد الله نبيه (ﷺ) بعدم النسيان. وهذا القول رجحه الرازي والقرطبي وابن جزي وأبو حيان والطاهر ابن عاشور(٦).

---

(١) الكشاف (٤/٧٣٩)، المحرر الوجيز (٥/٤٦٩)، التفسير الكبير (٣١/١٣٠)، تفسير القرطبي (٢٠/١٩) وغيرهم.

(٢) الكشاف (٤/٧٣٩).

(٣) وذلك في قوله: {**إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ**} [يوسف: ٩٠] قال السمين: قرأ قنبل يتقي «بإثبات الياء وصلا ووقفا، والباقون بحذفها فيهما. الدر المصون (٦/٥٥٢).

(٤) وذلك في قوله: {**وَلَا تَخْشَى**} [طه: ٧٧] قال السمين: أنه مجزوم أيضا بحذف حرف العلة وهذه الألف ليست تلك، أعني لام الكلمة، إنما هي ألف إشباع أتي بها موافقة للفواصل ورؤوس الآي. الدر المصون (٨/٨٣).

(٥) الدر المصون (١٠/٧٦١).

(٦) التفسير الكبير(٣١/١٣٠)، تفسير القرطبي (٢٠/١٩)، التسهيل لعلوم التنزيل (٢/٤٧٤)، البحر المحيط (١٠/٤٥٧)، التحرير والتنوير (٣٠/٢٨٠).

ومن أدلتهم:

(١) النسيان لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يصح ورود الأمر والنهي به.

(٢) جعل الألف مزيدة للفاصلة خلاف الأصل.

(٣) أنا إذا جعلناه خبراً كان معنى الآية بشارة الله إياه بأني أجعلك بحيث لا تنساه، وإذا جعلناه نهيا كان معناه أن الله أمره بأن يواظب على الأسباب المانعة من النسيان وهي الدراسة والقراءة[١].

(٤) أن الاستثناء من النهي لا يكاد يكون إلا مؤقتا معلوماً[٢].

(٥) أن الياء مثبتة في جميع المصاحف وعليها القراءات[٣].

القول المختار:

ومما سبق من أقوال يتبين لي – والله أعلم– أن القول بأن **(لا)** نافية هو القول المختار فهذا ما تقضيه البشرى والمعجزة للنبي (ﷺ)، وهو الموافق لرسم المصحف واتباع رسم المصحف لازم في تفسير معانيه.

قال صاحب الإتقان: أجمعوا على لزوم اتباع رسم المصاحف العثمانية في الوقف إبدالاً وإثباتاً وحذفاً وصلاً وقطعاً[٤]، وبهذه القاعدة رجح المفسرون كثيراً كثيراً من الأقوال وردوا كثيراً كالمسألة التي نحن بصددها.

ثانيا: الخلاف في توجيه الاستثناء وهل هو مقصود أو غير مقصود في قوله: {إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}؟

اختلف المفسرون في توجيه الاستثناء، وهل هو مقصود أو غير مقصود

---

(١) التفسير الكبير (١٣٠/٣١) بتصرف.

(٢) تفسير القرطبي (١٩/٢٠).

(٣) اللباب في علوم الكتاب (٢٧٩/٢٠).

(٤) الإتقان في علوم القرآن (٣٠٨/١).

على النحو الآتي:

القول الأول: أن النسيان في هذا الموضع هو ما رفع الله حكمه وتلاوته وذلك بالنسخ. قاله مجاهد والحسن وقتادة[١]، والإنساء نوع من النسخ، كما قال- تعالى-: **{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا}** [البقرة: ١٠٦][٢]، وهذا القول رجحه الطبري وابن جزي[٣].

قال الطبري: القول الذي هو أولى بالصواب عندي قول من قال: معنى ذلك: فلا تنسى إلا أن نشاء نحن أن نُنسيكه بنسخه ورفعه، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب، لأن ذلك أظهر معانيه[٤].

لكنَّ الماتريدي ردَّ هذا القول فقال: ما أرى هذا التأويل صحيحا[٥].

القول الثاني: أن النسيان في هذا الموضع بمعنى الترك والمعنى: فلا تترك العمل بشيء منه إلا ما شاء الله[٦].

قال الماتريدي: أن الاستثناء راجع إلى إنساء حكمه، وهو أن ينسخ حكمه حتى يترك فيصير كالمنسي؛ كقوله: **{نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ}** [التوبة: ٦٧] أي: جعلهم كالشيء المنسي بما آيسهم من رحمته، لا أن يكون هناك حقيقة نسيان، فكذلك ما نسخ حكمه وترك، صار كالمنسي، وإن لم يكن فيه حقيقة نسيان؛

---

(١) جامع البيان (٣٧٠/٢٤)، المحرر الوجيز (٤٦٩/٥)، البحر المحيط (٤٥٦/١٠).

(٢) التفسير الوسيط للواحدي (٤٧٠/٤)، التفسير الكبير (١٣١/٣١).

(٣) جامع البيان ت شاكر (٣٧٠/٢٤)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢).

(٤) جامع البيان ت شاكر (٣٧٠/٢٤).

(٥) تأويلات أهل السنة (٥٠٣/١٠).

(٦) جامع البيان (٣٧٠/٢٤)، تفسير السمعاني (٢٠٩/٦)، تفسير القرطبي (١٩/٢٠)، اللباب اللباب (٢٧٩/٢٠).

فيكون النسيان منصرفا إلى حكم التلاوة، لا إلى عينها[١].

فالقول الأول: من نسخ القول والعمل، **والقول الثاني:** من نسخ العمل فقط.

القول الثالث: المراد منه نسخ التلاوة. قاله السمعاني[٢].

القول الرابع: إلا ما شاء الله ثم يذكره بعد. قاله الزجاج[٣].

فالمراد بالنسيان عند الزجاج هو النسيان المؤقت الذي يعرض للإنسان وهذا مما تجري به العادة، ومثله حدث للنبي (ﷺ) فعن عائشة، قالت: سمع النبي (ﷺ) رجلا يقرأ في المسجد، فقال: «(يرحمه الله) لقد أَذْكَرَنِي كذا وكذا آية، أَسْقَطْتُهُنَّ من سورة كذا وكذا» وزاد عباد بن عبد الله، عن عائشة، تهجد النبي (ﷺ) في بيتي، فسمع صوت عباد يصلي في المسجد، فقال: «يا عائشة أصوت عباد هذا؟»، قلت: نعم، قال: «اللهم ارحم عبادا»[٤].

القول الخامس: أن الأنبياء (عليهم السلام) لم يكونوا آمنين على أنفسهم بالعصمة عن الزلات التي لديها يخاف زوال ما أنعموا به وإن ظهرت عصمتهم اليوم عندنا؛ ألا ترى إلى قصة إبراهيم (عليه السلام) عند محاجة قومه قال: **{قَالَ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا}** [الأنعام: ٨٠]، وقال: **{وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ}** [إبراهيم: ٣٥]، فخاف زوال ما أكرم به، وخشي أن يبتلى بما ابتلي به أهل المعاصي حتى فزع إلى الدعاء، فثبت أنه

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥٠٣/١٠).

(٢) تفسير السمعاني (٢٠٩/٦).

(٣) معاني القرآن وإعرابه للزجاج (٣١٦/٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشهادات، باب شهادة الأعمى وأمره ونكاحه وإنكاحه ومبايعته وقبوله في التأذين وغيره، وما يعرف بالأصوات (٢٦٥٥) (١٧٢/٣).

لم يتبين لهم حقيقة العصمة عن الوقوع في الزلات التي تزيل النعم، فكذلك رسول الله (ﷺ) لم يؤمن عما يعقب الإنساء؛ بل قيل له: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** [الأعلى: ٦، ٧]؛ ألا ترى إلى قوله: **{وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ}** [الزمر: ٦٥]؛ فثبت أنهم كانوا على خوف ووجل عن ارتكاب ما يسلب به الوحي وينسى قاله الماتريدي[١]، فالاستثناء جاء هنا لإزالة الوجل والخوف من الوقوع في النسيان.

هذه الأقوال السابقة هي من باب الاستثناء المقصود المعمول به الذي يؤدي دوره.

القول السادس: قيل المعنى: لم يشأ أن يُنسى شيئاً، وهو كقوله: **{خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ}** [هود: ١٠٨] ولا يشاء. وأنت قائل في الكلام: لأعطينك كل ما سألت إلا ما شئت، وإلا أن أشاء أن أمنعك، والنية ألا تمنعه، وعلى هذا مجاري الإيمان يستثنى فيها، ونية الحالف التمام. قاله الفراء[٢]، و قال الزمخشري: هو من استعمال القلة في معنى النفي[٣].

وهذا القول يجعل الاستثناء غير مقصود في الكلام كأنه لم يكن، لكن قول الفراء هذا مع وجاهته لم يسلم من اعتراض فقد ردَّه أبو حيان فقال: قول الفراء والزمخشري يجعل الاستثناء كَلَا استثناء، وهذا لا ينبغي أن يكون في كلام الله تعالى، بل ولا في كلام فصيح[٤].

---

(١) تأويلات أهل السنة (٥٠٣/١٠) بتصرف.

(٢) معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٣).

(٣) الكشاف (٧٣٩/٤).

(٤) البحر المحيط في التفسير (٤٥٧/١٠).

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبن لي –والله أعلم– أن النسيان هنا عاماً فقد يكون نسيان تلاوة أو حكم أو هما معاً أو يكون لأمر عارض، وأن الاستثناء مقصود في الكلام خلافاً لما ذهب إليه الفراء وذلك لما يأتي:

(١) هذا القول يؤيد قوله –تعالى–: **{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}** [البقرة: ١٠٦]

ومن قواعد الترجيح تفسير القرآن بالقرآن، قال ابن جزي: تفسير بعض القرآن ببعض، فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه، ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال[١].

(٢) أن النسيان أمر فطري جبلي، وقد ورد في السنة ما يبرهن على ذلك كما في حديث عائشة (رضي الله عنها) في قراءة عباد بن عبد الله في المسجد[٢]، وقد يكون نسيان تلاوة كما في حديث عمر (رضي الله عنه): «كان فيما أنزل الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما»[٣] وغير ذلك مما ورد في السنة مما يدل وقوع النسيان سواء أكان النسيان على بابه أو بمعنى النسخ.

(٣) ذكر العلماء أن النسيان جائز في أمور وغير جائز في أمور أخرى لخصها ابن عطية فقال: نسيان النبي (ﷺ) ممتنع فيما أمر بتبليغه، إذ هو معصوم فإذا بلغه ووعي عنه، فالنسيان جائز على أن يتذكر بعد ذلك وعلى أن يسنّ، أو على النسخ[٤].

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

(٢) سبق تخريجه في المسألة.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحدود، باب رجم الحبلى من الزنا إذا أحصنت (٦٨٣٠)(٨/١٧٠).

(٤) المحرر الوجيز (٥/٤٦٩)، البحر المحيط (١٠/٤٥٧).

(٤) ما ذهب إليه الفراء قول له وجاهته لكن الإعمال مقدم على الإهمال، فليس كل ما ثبت في اللغة صح حمل آيات القرآن عليه ولذا قال القرطبي محذراً: فمن لم يُحْكِمْ ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعاني بمجرد فهم العربية كثر غلطه[١].

قوله –تعالى–: {إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}

يخبر ربنا – سبحانه– نبيه (ﷺ) أن ما يجهر به من أمر القراءة وما يخفيه في نفسه يعلمه –سبحانه– فهذه جملة اعتراضية بين البشارة الأولى بعدم النسيان والبشارة الثانية بتهيئته (ﷺ) للأمور اليسرى في أمر الدين والدنيا من تيسير حفظ القرآن وتيسير الشريعة وجعله (ﷺ) قدوة للناس في أقواله وأفعاله وكذلك النصر في الدنيا على الأعداء، لكن المفسرين اختلفوا في المرد بالجهر والإخفاء وفي معنى **(اليسرى)**:

أولا: المراد بالجهر والإخفاء في قوله: {إنه يعلم الجهر وما يخفى} [الأعلى: ٧]:

من العلماء جعل الخطاب في هذه الآية خاصاً بالنبي (ﷺ) فعلى هذا يكون ما بعدها متصل بما قبلها أعني أن قوله: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}** متصل بقوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى (٦) إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ}** وتكون هذه الجملة القرآنية **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** اعتراضية بينهما، وممن رجح هذا الاتجاه الطبري والرازي وأبو حيان والطاهر ابن عاشور[٢].

قال الطبري: إن الله يعلم الجهر يا محمد من عملك ما أظهرته وأعلنته **{وَمَا**

(١) تفسير القرطبي (٣٤/١).

(٢) جامع البيان (٣٧١/٢٤)، التفسير الكبير (١٣١/٣١)، البحر المحيط (٤٥٧/١٠) التحرير والتنوير (٢٨١/٣٠).

يَخْفَى} يقول: وما يخفى منه فلم تظهره مما كتمته، يقول: هو يعلم جميع أعمالك سرّها وعلانيتها، يقول: فاحذره أن يطلع عليك وأنت عامل في حال من أحوالك بغير الذي أذن لك به[1].

وقال الطاهر: جملة: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** معترضة وهي تعليل لجملة: فلا تنسى إلا ما شاء الله فإن مضمون تلك الجملة ضمان الله لرسوله (ﷺ)، حفظ القرآن من النقص العارض، ومناسبة الجهر وما يخفى أن ما يقرؤه الرسول (ﷺ) من القرآن هو من قبيل الجهر فالله يعلمه، وما ينساه فيسقطه من القرآن هو من قبيل الخفي فيعلم الله أنه اختفى في حافظته حين القراءة فلم يبرز إلى النطق به[2].

ومن العلماء جعل الخطاب في هذه الآية عاماً فعلى هذا يكون ما بعدها غير متصل بما قبلها، ويدخل فيه رسول (ﷺ) دخولاً أولياً، وعلى هذا الاتجاه تعددت الأقوال وها هي بعضها:

القول الأول: ما يجهر بعضٌ لبعض من الخلائق، أو ما يسر بعضٌ عن بعض[3].

القول الثاني: يعلم ما تطلع عليه الملائكة من أعمالهم، ويعلم ما يعزب عنهم، فعلمه فيما أسر العبد كعلمه فيما أظهر وجهر به[4].

القول الثالث: ما يجهر به الإمام في الفجر والمغرب والعشاء والجمعة وما يخفي يعني: في الظهر والعصر والسنن[5].

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٧١/٢٤).
(٢) التحرير والتنوير (٢٨١/٣٠).
(٣) تأويلات أهل السنة (٥٠٤/١٠).
(٤) تأويلات أهل السنة (٥٠٤/١٠)، بحر العلوم (٥٧١/٣)، الكشاف (٧٣٩/٤).
(٥) بحر العلوم (٥٧١/٣).

القول الرابع: يعلم إعلان الصدقة وإخفاءها. قاله محمد بن حاتم[١][٢].

وذكر الإمام الشوكاني بعض هذه الأقوال مرجحاً العموم فقال: ظاهره العموم[٣].

فالأمر يسع ما ذُكر وما لم يُذكر من أقوال.

القول المختار:

ومما سبق يتبين لي- والله أعلم- أن أصحاب الاتجاه الأول نظروا إلى السياق وأن قوله: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ وَمَا يَخْفَى}** جاءت معترضة بين البشارتين اللتين خص الله بهما نبيه (ﷺ)، فعلى هذا الخطاب له (ﷺ)، والسياق من أقوى القرائن على مراد المتكلم من كلامه، قال الزركشي: دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته[٤].

أما أصحاب الاتجاه الثاني الذين جعلوا الخطاب عاماً وتعددت أقوالهم في الآية الكريمة فاختلافهم اختلاف تنوع، وتفسيرهم من التفسير بالمثال، والقرآن حمَّال أوجه لكنَّ السياق يرجح القول بأن الخطاب لرسول الله حيث جاءت هذه الجملة القرآنية معترضة بين بشارتين لرسول (ﷺ)، وما ذكره أصحاب الاتجاه

---

(١) محمد بن حاتم بن ميمون السمين الحافظ الإمام أبو عبد الله المروزي ثم البغدادي: سمع سفيان بن عيينة وعنه مسلم، وثقه بن عدي، جمع كتابا في تفسير القرآن كتبه الناس عنه ببغداد، مات في آخر سنة خمس وثلاثين ومائتين. طبقات الحفاظ للذهبي (٣٣/٢) الأعلام للزركلي (٧٥/٦).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٤/١٠).

(٣) فتح القدير للشوكاني (٥١٥/٥).

(٤) البرهان في علوم القرآن (٢٠٠/٢) بتصرف.

الثاني من أقوال في المسألة نصت عليها آيات كثيرة في كتاب الله كقوله- تعالى-: **{إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ}** [الأنبياء: ١١٠].

ثانيا: معنى (اليسرى) في قوله: {وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}

ذكر المفسرون أقولاً كثيراً في ذلك منها ما يأتي:

القول الأول: المراد بـــ (اليسرى) الخير. قاله ابن عباس (ﷺ)[١].

القول الثاني: المراد بـــ (اليسرى) الجنة. قاله ابن مسعود (ﷺ)[٢].

القول الثالث: يهون عليك عمل الجنة. قاله مقاتل[٣].

القول الرابع: نوفقك للطريقة التي هي أسهل وأيسر، يعني في حفظ القرآن[٤].

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي -والله أعلم- أن القول المختار في (اليسرى) أنها من قبيل التفسير بالمثال، وهذا كله يبين منزلة (ﷺ) عند ربه، ومدى عناية الله به، ولذلك جاء ابن عطية وابن كثير والشوكاني[٥] بعبارات تؤدي مُؤدَّى ما ذُكر من أقوال وما لم يُذكر في حقه (ﷺ).

فقال ابن عطية: قوله تعالى: **{وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَى}** معناه: نذهب بك نحو الأمور المستحسنة في دنياك وأخراك من النصر والظفر وعلو الرسالة والمنزلة

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٦/١٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٧٠/٤)، تفسير القرطبي (١٩/٢٠).

(٢) النكت والعيون (٢٥٣/٦)، التفسير الكبير (١٣١/٣١)، تفسير القرطبي (١٩/٢٠).

(٣) التفسير الوسيط للواحدي (٤٧٠/٤)، تفسير البغوي (٢٤٢/٥)، فتح القدير للشوكاني (٥١٥/٥).

(٤) بحر العلوم (٥٧١/٣)، التفسير الكبير (١٣١/٣١)، التحرير والتنوير (٢٨١/٣٠).

(٥) المحرر الوجيز (٤٦٩/٥)، تفسير ابن كثير (٣٧٢/٨)، فتح القدير للشوكاني (٥١٥/٥).

يوم القيامة، والرفعة في الجنة[١].

ونص الشوكاني على القول بالعموم صراحة فقال: الأولى حمل الآية على العموم، أي: نوفقك للطريقة اليسرى في الدين والدنيا في كل أمر من أمورهما التي تتوجه إليك[٢].

لكنَّ الطاهر ابن عاشور ذهب إلى أن الأولى من هذه الأقوال تيسير حفظ القرآن له (ﷺ) مراعياً بذلك السياق فقال: سياق الكلام الذي قبله يهدي إلى أن يكون الموصوف المقدر معنى الشريعة فإن خطاب الرسول (ﷺ) في القرآن مراعى فيه وصفه العنواني وهو أنه رسول فلا جرم أن يكون أول شؤونه هو ما أرسل به وهو الشريعة[٣].

والحق أن كل الأقوال تخص رسول الله (ﷺ) لا تتعداه إلى غيره، وتدور حول هدف واحد ألا وهو تيسر الشريعة من أجل تبليغها والعمل بها، تلك الشريعة التي تدعو إلى عمل الخيرات وتوصل إلى جنة الرحمن.

(١) المحرر الوجيز (٤٦٩/٥).

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥١٥/٥).

(٣) التحرير والتنوير (٢٨٢/٣٠).

الفصل الثالث

من علامة السعادة والشقاوة

قال – تعالى–: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى (٩) سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}** [الأعلى: ٩ – ١٣].

مناسبة الآيات لما قبلها:

لما بشر الله نبيه (ﷺ) بعدم نسيان الوحي إلا ما شاء –سبحانه– أخبره بأنه يعلم الجهر من القول والسر منه، وأنه يعلم حرصه (ﷺ) على تبليغ وحيه ونشر رسالته، فسهَّل له ذلك ليكون أشحذ لهمته وذهاب خوفه من عدم القيام بما كلف به، وبعد البشرى أمره بأن يداوم على تذكير العباد، فالسعيد من قبل الذكرى، والشقي من أعرض عنها.

المباحث اللغوية:

أولا: معاني المفردات:

قوله: **{فَذَكِّرْ}** التذكرة: ما يتذكر به الشيء، وهو أعم من الدلالة والأمارة، قال تعالى: **{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ}** [المدثر: ٤٩]، **{كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ}** [عبس: ١١]، أي: القرآن(١).

قوله: {نَفَعَتِ} النفع: ما يستعان به في الوصول إلى الخيرات، وما يتوصل به إلى الخير فهو خير، فالنفع خير، وضده الضر(٢).

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٢٩).

(٢) المرجع السابق (ص: ٨١٩).

قوله: **{الذِّكْرَى}** كثرة الذكر، وهو أبلغ من الذكر، قال تعالى: **{رَحْمَةً مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ}** [ص: ٤٣] **{وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الذاريات: ٥٥](١).

قوله: {مَنْ يَخْشَى} الخاء والشين والحرف المعتل يدل على خوف وذعر، ثم يحمل عليه المجاز فالخشية الخوف(٢)، قال الراغب: الخشية: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خص العلماء بها في قوله: **{إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ}** [فاطر: ٢٨](٣).

قوله: {وَيَتَجَنَّبُهَا} الجيم والنون والباء أصلان متقاربان أحدهما: الناحية، والآخر البعد(٤) إذا أطلق فقيل: جنب فلان فمعناه: أبعد عن الخير(٥).

قوله: {الْأَشْقَى} هو المعاند المصرّ على الجحد والإنكار، المتمكن من نفسه الكفر(٦).

قوله: {يَصْلَى} الصَّلا: الحَطَبُ. والصَّلا: النار، وصَلَى الكافرُ ناراً فهو يَصْلاها أي قاسَى حَرَّها وشِدَّتَها(٧).

قوله: {النَّارَ الْكُبْرَى} هي السفلى من أطباق النار(٨).

---

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٢٩).

(٢) مقاييس اللغة (١٨٤/٢).

(٣) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٨٣).

(٤) مقاييس اللغة (٤٨٣/١).

(٥) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٠٦).

(٦) تفسير المراغي (١٢٥/٣٠).

(٧) العين (١٥٤/٧).

(٨) معاني القرآن للفراء (٢٥٦/٣).

ثانيا: الإعراب:

قوله: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}** **(فَذَكِّرْ)** الفاء الفصيحة وأمر فاعله مستتر والجملة جواب شرط مقدر لا محل لها، أي إن نفعت الذكرى من يتذكّر فذكّر [1]وقوله: **(إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى)** جملة الشرطية مستأنفة، وجوابها محذوف دل عليه ما قبله[2].

قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى} **(سَيَذَّكَّرُ)** السين حرف استقبال **(مَنْ)** اسم موصول في محل الرفع فاعل، والجملة مستأنفة، **(يَخْشى)** مضارع فاعله مستتر والجملة صلة الموصول **(من)** لا محل لها من الإعراب[3].

قوله: {وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} الواو حرف عطف والجملة معطوفة على المستأنفة قبلها[4].

قوله: {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى} **(الَّذِي)** اسم موصول صفة الأشقى «يَصْلَى» مضارع فاعله مستتر «النَّارَ» مفعول به «الْكُبْرى» صفة النار والجملة صلة[5].

قوله: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}(ثُمَّ) حرف عطف **(لا)** نافية **(يَمُوتُ)** مضارع فاعله مستتر والجملة معطوفة على ما قبلها (فِيها) متعلقان بالفعل **(وَلا)** الواو حرف عطف **(وَلا)** نافية **(يَحْيى)** معطوف على يموت والجملة لا محلّ لها معطوفة على جملة (يَصْلَى)[6].

---

(١) الجدول في إعراب القرآن (٣٠٧/٣٠)، إعراب القرآن للدعاس (٤٣٩/٣).

(٢) المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٤/٤).

(٣) المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٥/٤)، إعراب القرآن للدعاس (٤٤٠/٣).

(٤) المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٥/٤).

(٥) إعراب القرآن للدعاس (٤٤٠/٣).

(٦) الجدول في إعراب القرآن (٣٠٧/٣٠)، إعراب القرآن للدعاس (٤٤٠/٣).

ثالثا: من الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

قوله: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}** الفاء للتفريع على ما تقدم تفريع النتيجة على المقدمات[١] وبين قوله: **{ذَكِّرْ}**، و **{الذِّكْرَى}** جناس اشتقاق حيث يجمعهما اشتقاق واحد مع عدم اختلافهما في المعنى، ولم يكونا من الجناس بل ملحقان به حيث يشترط في الجناس اختلاف المعنى.

قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى} حيث يوجد مقابلة[٢] بين الآيتين، وقيل هذا من الاحتباك[٣]: (الآية من الاحتباك ذكر الثمرة في الأول وهي الخشية دليلاً على حذف ضدها من الثاني، وهي القسوة الناشئة على الحكم بالشقاوة، وذكر الأصل والسبب في الثاني وهو الشقاوة دليلاً على حذف ضده في الأول وهو السعادة، فالإسعاد سبب والخشية ثمرة، والإشقاء سبب والقساوة ثمرة ومسبب، وكذا ما تبعه من النار وما نشأ عنه، وسر ذلك أنه ذكر مبدأ السعادة أولاً حثاً عليه، ومآل الشقاوة ثانياً تحذيراً منه)[٤].

قوله: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} **{ثُمَّ}** للتراخي الرتبي تدل على أن معطوفها متراخي الرتبة في الغرض المسوق له الكلام وهو شدة العذاب[٥].

وقيل: **{ثُمَّ}** ليس معناها التراخي في الوقت ولكن في الحال، كما تقول: هي

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨٤/٣٠).

(٢) المقابلة: أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة، ثم بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل. بغية الإيضاح (٥٨٠/٤).

(٣) الاحتباك: أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ويحذف من الثاني ما أثبت نظيره في الأول. خزانة الأدب للبغدادي (٢٥٧/٣).

(٤) نظم الدرر (٤٠٠/٢١) ما بين القوسين عبارة البقاعي.

(٥) محاسن التأويل (٤٥٨/٩)، التحرير والتنوير (٢٨٦/٣٠).

محكمة أحسن الإحكام ثم مفصلة أحسن التفصيل، وفلان كريم الأصل ثم كريم الفعل، وكذلك في قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٣٣]، وقوله تعالى: **{خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا}** [الزمر: ٦]، وقوله تعالى: **{الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}** [الأعلى: ١٢، ١٣][(١)].

وهنا طباق ظاهر بين فعلين **{لَا يَمُوتُ}** وبين **{وَلَا يَحْيَى}**.

وفي الآية أيضاً احتراس[(٢)] (ولما كان من يدخل النار فلا تؤثر في موته قد يكون ذلك إكراماً له من باب خرق العوائد، احترز عنه بقوله: **{ولا يحيى}** أي حياة تنفعه لأنه ما تزكى فلا صدق ولا صلى)[(٣)].

التفسير والبيان:

قوله -تعالى-: {فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}

ذا أمر من الله -سبحانه- لنبيه (ﷺ) ليستمر في التذكير والتبليغ الذي كلف به، بعد أن بشره -سبحانه- بعدم نسيان ما نزل عليه من الوحي إلا ما شاء الله ذلك، وأنه -سبحانه- يسره وهيأه للخير وهذا فيه من السرور وانشراح الصدر لرسول (ﷺ) ما الله به عليم، فحينئذ يقبل على ما أمر بتبليغه بلا خوف من نسيان.

هذا، وقد اختلف المفسرون في (إِنْ) هل هي شرطية أو لا؟ وإذا كانت للشرطية فما علة الشرط؟ وها هي أقوالهم:

---

(١) الفصل والوصل في القرآن الكريم (ص: ١١٢).

(٢) الاحتراس: هو أن يؤتى في كلام يوهم خلاف المقصود بما يدفعه. الإيضاح في علوم البلاغة (٣/٢٠٨).

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (٢١/٤٠٢) ما بين القوسين عبارة البقاعي.

القول الأول: أن (إِنْ) شرطية، فالنبي (ﷺ) مأمور بالتذكير المشروط بالنفع في هذا الموضع من كتاب – الله– سبحانه. وهذا القول منسوب إلى يحي بن سلام[١][٢].

وهذا القول رجحه ابن كثير فقال: أي ذكر حيث تنفع التذكرة، ومن هاهنا يؤخذ الأدب في نشر العلم فلا يضعه عند غير أهله كما قال أمير المؤمنين علي (رضي الله عنه): ما أنت بمحدث قوما حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان فتنة لبعضهم[٣]، وقال: حدث الناس بما يعرفون أتحبون أن يكذب الله ورسوله[٤][٥].

القول الثاني: أن (إِنْ) شرطية لكن علة الشرط هنا التوبيخ لقريش أو للكفار على وجه العموم لعدم قبول الذكرى[٦].

---

(١) يحيى بن سلام بن ثعلب أبو زكريا البصري، صاحب «التفسير». روى الحروف عن أصحاب الحسن البصري، وسمع منه بمصر عبد الله بن وهب، ومثله من الأئمة، وكان ثقة ثبتا، ذا علم بالكتاب والسنة، ومعرفة اللغة والعربية، صاحب سنة، توفي في صفر سنة مائتين. طبقات المفسرين للداوودي (٣٧١/٢).

(٢) النكت والعيون (٢٥٤/٦)، زاد المسير في علم التفسير (٤٣٢/٤).

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، مقدمة الإمام مسلم (رحمه الله)، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع، (١١/١) (١١) نصه: أن عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه)، قال: «ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم، إلا كان لبعضهم فتنة».

(٤) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم، كراهية أن لا يفهموا (٣٧/١) (١٢٧).

(٥) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٧٢/٨).

(٦) الكشاف (٧٣٩/٤)، المحرر الوجيز(٤٧٠/٥)، التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٤٥٧/١٠).

وهذا القول رجحه ابن جزي وأبو حيان[1]حيث قال: الظاهر أن الأمر بالتذكير مشروط بنفع الذكرى، وهذا الشرط إنما جيء به توبيخاً لقريش، أي إن نفعت الذكرى في هؤلاء الطغاة العتاة، ومعناه استبعاد انتفاعهم بالذكرى، فهو كما قال الشاعر: لقد أسمعت لو ناديت حيا... ولكن لا حياة لمن تنادي[2].

كما تقول: قل لفلان وأعد له إن سمعك فقوله: إن سمعك إنما هو توبيخ وإعلام أنه لن يسمع[3].

القول الثالث: إن نفعت أو لم تنفع، لأن النبي (ﷺ) بعث مبلغاً للإعذار والإنذار، فعليه التذكير في كل حال نفع أو لم ينفع، ولم يذكر الحالة الثانية كقوله: **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}** [النحل: ٨١] وأراد الحر والبرد جميعا. قاله الفراء والنحاس والجرجاني والزهراوي[4].

وهذا القول رجحه الرازي فقال: أنه (عليه السلام) كان مبعوثاً إلى الكل فيجب عليه أن يذكرهم سواء نفعتهم الذكرى أو لم تنفعهم، فما المراد من تعليقه على الشرط في قوله: إن نفعت الذكرى؟ الجواب: أن المعلق بأن على الشيء لا يلزم أن يكون عدما عند عدم ذلك الشيء[5]، ويدل عليه آيات منها هذه الآية، ومنها

---

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢)، البحر المحيط (٤٥٧/١٠).

(٢) قائل البيت: أبو منصور الخوافي (من الوافر). الدر الفريد (٤٥٤/٧) شرح لامية العجم للدميري (ص: ٩٨).

(٣) البحر المحيط (٤٥٧/١٠).

(٤) المحرر الوجيز (٤٧٠/٥)، البحر المحيط (٤٥٧/١٠)، اللباب (٢٨٢/٢٠)فتح القدير (٥١٥/٥).

(٥) ولعل الرازي أخذ هذا من كلام الماتريدي: ظاهر هذا يقتضي ألا يذكر إلا من نفعته الذكرى، ولكن تخصيص الحكم في حال بوصف لا يوجب قطع ذلك الحكم فيما كان الحال بخلاف ذلك الوصف؛ بل يلزمه أن يذكر من نفعه ومن لا ينفعه؛ قال الله -=

قوله: **{فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا}** [النساء: ١٠١] فإن القصر جائز وإن لم يوجد الخوف، ومنها قوله: **{وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ}** [البقرة: ٢٨٣] والرهن جائز مع الكتابة، إذا عرفت هذا فنقول ذكروا لذكر هذا الشرط فوائد إحدها: أنه تعالى ذكر أشرف الحالتين، ونبه على الأخرى كقوله: **{سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ}** [النحل: ٨١] والتقدير: فذكر إن نفعت الذكرى أو لم تنفع وثانيها: أن المراد منه البعث على الانتفاع بالذكرى(١).

وقال الشوكاني بعد أن عدد الأقوال في الآية: ما قاله الواحدي والجرجاني أولى، وقد سبقهما إلى القول به الفراء والنحاس(٢)، لكنَّ هذا القول استبعده ابن جزي و محمد محمد عبد اللطيف بن الخطيب(٣)، قال ابن جزي: هذا بعيد(٤).

وقال الخطيب: هو قول باطل؛ لأنه من الحمق والخرق أن تعظ أقواماً وأنت على تمام اليقين من أنهم لن يقبلونها. وإنما يجب التذكير: إذا كان فيهم من يقبلها، ومنهم من يرفضها؛ ويؤيده ما بعده(٥).

هذه الأقوال الثلاثة إذا كانت (إِنْ) على بابها مراداً بها الشرطية، لكن هناك أقوال أخرى أخرجت (إِنْ) عن الشرطية وضمنتها معاني أخرى وهي ما يأتي:

=تعالى –: (فذكر إنما أنت مذكر) الآية، أمر بالتذكير على الإطلاق. تأويلات أهل السنة (٥٠٤/١٠).

(١) التفسير الكبير (١٣٢/٣١) بتصرف.

(٢) فتح القدير للشوكاني (٥١٥/٥).

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢)، أوضح التفاسير (٧٤٥/١).

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل (٤٧٤/٢).

(٥) أوضح التفاسير (٧٤٥/١).

القول الأول: أن (إِنْ) بمعنى «قد»، فتقديره: قد نفعت الذكرى. قاله مقاتل[١]، وهذا القول استبعده السمين وابن عادل [٢].

قال السمين: قيل: هي بمعنى «قد» ذكره ابن خالويه، وهو بعيد جدا[٣].

القول الثاني: أن (إِنْ) بمعنى (إذ) أي إذ نفعت، كقوله تعالى: **{وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}** [آل عمران: ١٣٩] أي إذ كنتم، فلم يخبر بعلوهم إلا بعد إيمانهم[٤].

القول الثالث: أن (إِنْ) بمعنى (ما) أي فذكر ما نفعت الذكرى، فتكون (إِنْ) بمعنى (ما)، لا بمعنى الشرط، لأن الذكرى نافعة بكل حال. قاله ابن شجرة[٥][٦] شجرة[٥][٦]

القول الرابع: أن (إِنْ) بمعنى (حيث) أي ذكر حيث تنفع التذكرة. قاله ابن كثير[٧].

---

(١) زاد المسير في علم التفسير (٤/٤٣٢).

(٢) الدر المصون في (١٠/٧٦٣)، اللباب (٢٠/٢٨٢).

(٣) الدر المصون في (١٠/٧٦٣).

(٤) تفسير السمعاني (٦/٢٠٩)، تفسير القرطبي (٢٠/٢٠)، البحر المحيط (١٠/٤٥٧)، الدر المصون (١٠/٧٦٣).

(٥) أحمد بن كامل بن خلف بن شجرة البغدادي، تلميذ محمد بن جرير الطبري، ولد سنة ستين ومائتين، كان من العلماء بالأحكام وعلوم القرآن، ولي قضاء الكوفة، توفي سنة خمسين وثلاث مائة. سير أعلام النبلاء ط الحديث (١٢/١٠٨).

(٦) النكت والعيون (٦/٢٥٤)، تفسير القرطبي (٢٠/٢٠)، اللباب في علوم الكتاب (٢٠/٢٨٢).

(٧) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨/٣٧٢).

وبعد ذكر هذه الأقوال التي تضمن (إنْ) معاني أخرى أرى- والله أعلم- أن جميعها أخرجت (إنْ) من معنى الشرطية، مؤكدة أنَّ الذكرى لا تكون إلا إذا وجدت أذناً تسمع وقلباً يعقل، وهذا هو المراد بالآية الكريمة.

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي -والله أعلم- أن القول الأول هو المختار فـ (إنْ) شرطية، والنبي (ﷺ) مأمور بالتذكير المشروط بالنفع في هذا الموضع من كتاب -الله- سبحانه وذلك لما يأتي:

(١) وجود نظائر لهذا القول من كتاب الله- سبحانه- كقوله: **{إِنَّمَا تُنْذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ}** [فاطر: ١٨] وقوله: **{نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ}** [ق: ٤٥] وقوله: **{فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ (٥٤) وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ}** [الذاريات: ٥٤، ٥٥].

(٢) عن أبي وائل، قال: كان عبد الله يذكر الناس في كل خميس فقال له رجل: يا أبا عبد الرحمن لوددت أنك ذكرتنا كل يوم؟ قال: أما إنه يمنعني من ذلك أني أكره أن أُمِلَّكُمْ، وإني أَتَخَوَّلُكُمْ بالموعظة، كما كان النبي (ﷺ) يَتَخَوَّلُنَا بها، مخافة السآمة علينا"[(١)].

فإذا كان (ﷺ) يتعهد الصحابة الكرام بالموعظة مراعياً أوقات نشاطهم ولا يقوم بذلك دائماً، فهو كذلك يتجنب تذكير من يأس من حاله، أو ترتب على دعوته ضرر متحقق بعد أن وصلته الدعوة، ولقد أمر -سبحانه- بكف الأيدي عن القتال قبل الهجرة إلى المدينة المنورة، لأن الأمر بالقتال في ذلك الوقت أعظم ضرراً، وهكذا فترك التذكير المترتب علية ضرر متحقق متعين.

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة (١/٢٥)(٧٠).

(٣) قال الطاهر ابن عاشور بعد أن أثبت ما رجحته في معنى الآية الكريمة: في هذا ما يريك معنى الآية واضحاً لا غبار عليه ويدفع حيرة كثير من المفسرين في تأويل معنى (إن)، ولا حاجة إلى تقدير الفراء والنحاس: إن نفعت الذكرى وإن لم تنفع وأنه اقتصر على القسم الواحد لدلالته على الثاني[١].

قوله: {سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}

في هاتين الآيتين الكريمتين يبن ربنا -سبحانه- أحوال الناس مع الذكرى فأهل الخشية من الله يقبلونها، وأهل الشقاء في علم الله-سبحانه- ممن عتوا في طغيانهم وكفروا بربهم يتجنبونها، وإضافة التجنب إلى الأشقى من باب الأدب مع الله -سبحانه-.

قال الماتريدي: أضاف التجنب هاهنا إلى الأشقى، وهو الشقي، وفيما ذكر الأتقى أضاف التجنب إلى نفسه بقوله: **{وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى}** [الليل: ١٧، ١٨]؛ فيكون في هذا دلالة الإذن بإضافة الخيرات إلى الله - تعالى - وفي الأول دلالة منع إضافة الشرور إليه؛ وهذا لأن إضافة الخيرات إلى الله تعالى تخرج مخرج الشكر له، وهو حقيق بأن تشكر نعمه، وليس في إضافة الشرور إلى آخر شكر له؛ فلم يصح أن تضاف إليه[٢].

والسين في قوله: **(سَيَذَّكَّرُ)** دليل على أن التذكر قد يحدث مستقبلاً بعد روية وتفكر تطول المدة أو تقصر، لذا نجد من الناس من أسلم بمجرد سماعه ببعثته (ﷺ)، ومنهم من أسلم قبيل الهجرة، ومنهم من أسلم بعدها رغم سماعه الذكرى منذ سنوات.

ولذا قال الرازي: السين في قوله: (سَيَذَّكَّرُ) يحتمل أن تكون بمعنى سوف

---

(١) التحرير والتنوير (٢٨٣/٣٠).

(٢) تأويلات أهل السنة (٥٠٥/١٠).

يذكر وسوف من الله واجب كقوله: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى: ٦] ويحتمل أن يكون المعنى أن من خشي الله فإنه يتذكر وإن كان بعد حين بما يستعمله من التدبر والنظر فهو بعد طول المدة يذكر(١).

قوله: {الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}

بعد أن بين ربنا حال المدعوَّين، ذكر –سبحانه– وصف الأشقى بأنه سيصلى حر النار وشدتها وعطف على ذلك العذاب عذاباً آخر هو أشد من الأول ألا هو التردد بين الحياة والموت فلا يحي حياة يتنعم بها ولا يُقضى عليه فيستريح، وهذا في شأن الكافر، أما المسلم فعذابه دون ذلك بقدر ما اقترفت يداه من الذنوب والمعاصي.

وذكر المفسرون أقوالاً في {النَّارَ الْكُبْرَى} وكذا المراد بقوله: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} هل هذا على الحقيقة أو على سبيل التمثيل؟

أولا: أقوال المفسرين في {النَّارَ الْكُبْرَى}:

القول الأول: هي نار جهنم والصغرى نار الدنيا. قاله الحسن ويحيى بن سلام(٢).

ودلل المفسرون(٣) على قول الحسن بما روي عن أبي هريرة (ﷺ) أن رسول الله (ﷺ)، قال: «ناركم جزء من سبعين جزءا من نار جهنم»، قيل يا رسول الله إن كانت لكافية قال: « فُضِّلَتْ عليهن بتسعة وستين جزءا كلهن مثل

---

(١) التفسير الكبير (١٣٤/٣١).

(٢) النكت والعيون (٢٥٤/٦)، المحرر الوجيز (٤٧٠/٥)، تفسير القرطبي (٢١/٢٠)، البحر المحيط (٤٥٨/١٠).

(٣) بحر العلوم (٥٧١/٣)، أنوار التنزيل (٣٠٦/٥)، إرشاد العقل السليم (١٤٦/٩)، روح المعاني (٣٢٠/١٥).

حرها»[١].

القول الثاني: الكبرى نار الكفار في الطبقة السفلى من جهنم ، والصغرى نار المذنبين في الطبقة العليا من جهنم. قاله الفراء[٢].

ودلل المفسرون[٣] على قول الفراء بأن النار طبقات بما روي عن أبي سعيد (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): أما أهل النار الذين هم أهلها، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون، ولكن ناس أصابتهم النار بذنوبهم – أو قال بخطاياهم – فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحما، أذن بالشفاعة، فجيء بهم ضَبَائِرَ ضَبَائِرَ[٤]، فَبُثُّوا على أنهار الجنة، ثم قيل: يا أهل الجنة، أفيضوا عليهم، فينبتون نبات الحبة تكون في حميل السيل"، فقال: رجل من القوم، كأن رسول الله (ﷺ) قد كان بالبادية[٥].

فهذا الحديث يخص عصاة المؤمنين الذين أصابتهم النار بذنوبهم فترة ما ثم يخرجون منها، دون غيرهم من أهل الكفر والنفاق لقول–تعالى–: **{إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ}** [النساء: ١٤٥] ولقوله: **{إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ}** [البينة: ٦]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب صفة النار، وأنها مخلوقة" (١٢١/٤) (٣٢٦٥).

(٢) الهداية (٨٢١٢/١٢)، النكت والعيون (٢٥٤/٦)، المحرر الوجيز (٤٧٠/٥)، تفسير القرطبي (٢١/٢٠).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٧٣/٨)، روح المعاني (٣٢٠/١٥).

(٤) (ضبائر ضبائر) الضبائر جماعات في تفرقة (فبثوا) معناه فرقوا] صحيح مسلم (١٧٢/١) محمد فؤاد عبد الباقي.

(٥) أخرجه مسلم صحيحه، كتاب الإيمان، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار (١٧٢/١) (١٨٥).

قال النووي: قوله (ﷺ): (لكن ناس أصابتهم النار) إلى آخره، معناه: أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله إماتة بعد أن يعذبوا المدة التي أرادها الله، وهذه الإماتة، إماتة حقيقية، يذهب معها الإحساس، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم، ثم يميتهم، ثم يكونون فحماً، فيُحملون ضبائر، كما تحمل الأمتعة، ويلقون على أنهار الجنة، فيصب عليهم ماء الحياة، فيحيون، وينبتون نبات الحبة في حميل السيل هذا هو ظاهر الحديث(١).

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي–والله أعلم– أن قول الفراء هو الأقرب للصواب وذلك لما يأتي:

(١) أن السياق يشير إلى عذاب الأشقى في الآخرة ذلكم الكافر الذي كذب رسول الله (ﷺ) وصد عن دين الله، وليست ثمَّ مقارنة بين عذاب الدنيا وعذاب الآخرة في الآيات، وبمقتضى مفهوم المخالفة عُلم أن عصاة أهل الإيمان في طبقات أعلى من أهل الكفر لمدة مقدرة عليهم بسبب ذنوبهم.

قال الزركشي: دلالة السياق ترشد إلى تبيين المجمل والقطع بعدم احتمال غير المراد وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة وهو من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظيره وغالط في مناظراته(٢).

(٢) هذا ما ذهب إليه ابن عباس، قال سعيد بن جبير عن ابن عباس (رضي الله عنهما): هو الطبق الأسفل من جهنم(٣).

---

(١) شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري (١٣١/٢) بتصرف.

(٢) البرهان في علوم القرآن (٢٠٠/٢) بتصرف.

(٣) تفسير السمعاني (٢١٠/٦).

ثانيا: المراد بقوله: {ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى} هل هذا على سبيل الحقيقة أو على سبيل التمثيل؟

القول الأول: أن الأمر على سبيل الحقيقة وذلك أن نفس أحدهم تصير فيها في حلقه، فلا تخرج فتفارقه فيموت، ولا ترجع إلى موضعها من الجسم فيحيا(١).

القول الثاني: الأمر على سبيل التمثيل أي لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيا حياة تنفعه(٢).

قال الطبري: قيل ذلك؛ لأن العرب كانت إذا وصفت الرجل بوقوع في شدة شديدة، قالوا: لا هو حي، ولا هو ميت، فخاطبهم الله بالذي جرى به ذلك من كلامهم(٣).

ودللوا علي ما ذهبوا إليه بما يأتي:

أولاً: بقوله – تعالى–: **{وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا}** [فاطر: ٣٦](٤).

ثانيا: بقول الشاعر:

ألا ما لنفسٍ لا تموتُ فَيَنْقَضِي ** عَناها ولا تحْيا حياةً لها طَعمْ(٥).

---

(١) جامع البيان (٣٧٢/٢٤)، الهداية (٨٢١٢/١٢)، التفسير الكبير (١٣٥/٣١)، روح المعاني (٣٢٠/١٥).

(٢) جامع البيان (٣٧٢/٢٤)، الهداية (٨٢١٢/١٢)، تفسير السمعاني (٢١٠/٦)، الكشاف (٧٤٠/٤).

(٣) جامع البيان (٣٧٢/٢٤).

(٤) التفسير الكبير (١٣٥/٣١)، تفسير ابن كثير ط العلمية (٣٧٣/٨)، اللباب في علوم الكتاب (٢٨٣/٢٠).

(٥) النكت والعيون (٢٥٤/٦)، فتح القدير للشوكاني (٥١٦/٥) البيت من الطويل، وهو بلا نسبة في لسان العرب (٣٦٥/١٢) . المعجم المفصل في شواهد العربية (١٨٠/٧).

وهو ما رجحه ابن عطية فقال: أراه على التشبيه لأنه كالسبات والركود والهمول فجعله موتا[1].

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي-والله أعلم- أن حمل الأمر على الحقيقة أولى لأن الألم والتعب والنصب يلازم الأشقى سواء حملت الآية على الحقيقة أو على التمثيل، وإذا كان كذلك كان الحمل على الحقيقة أولى.

قال ابن جزي: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين، وقد يترجح المجاز إذا كثر استعماله حتى يكون أغلب استعمالا من الحقيقة ويسمى مجازا راجحا والحقيقة مرجوحة[2].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٥/٤٧٠).

(٢) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

الفصل الرابع

بعض ما جاء في القرآن موافقاً لما في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام)

قوله -تعالى-: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى (١٧) إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى (١٩)} [الأعلى: ١٤ - ١٩].

مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكر ربنا -سبحانه- الأشقى وعقابه، ذلكم الأشقى الذي رفض قبول الحق الذي جاء به رسول الله (ﷺ) أتبع ذلك بالمفلح الذي زكى نفسه من أدران الكفر وأوضار الشرك وذكر اسم ربه بما يليق بذاته وصلى خاشع القلب والجسد له -سبحانه- وأتى بعد ذلك -سبحانه- بذكر شيء مركوز في النفوس ألا وهو إيثار الحياة الدنيا الفانية على الأخرة الباقية وهذا مما لا ينبغي أن يكون، ثم أشار -سبحانه- إلى أن بعض ما ذكر جاء مصدقاً لما جاء في صحف إبراهيم وموسي (عليهما السلام).

المباحث اللغوية:

أولا: معاني المفردات:

قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى} {أَفْلَحَ} أَصل المادّة للشقّ، وسُمّى الفَلاَّح لكونه يشُقّ الأَرضَ. وفى المثل: الحديدُ بالحديد يُفْلَح. والفَلاَح: الظفر، والفوز بالبُغْية. وذلك ضربان: دنيوي، وأُخروي[1].

(١) المفردات في غريب القرآن (ص: ٦٤٤)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز (١٨٠/٢).

قوله: {تَزَكَّى} كل كلمة **(الزكاة)** في القرآن هي بمعنى زكاة المال كقوله: **{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}** [البقرة: ٤٣] وسائر ما في القرآن من مفردات التركيب هو بمعنى طهارة النفس كقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}** [الشمس: ٩]، وقوله: **{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}** [النجم: ٣٢][١].

وتزكية الإنسان نفسه ضربان: أحدهما: بالفعل، وهو محمود وإليه قصد بقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا}** [الشمس: ٩]، وقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}**، والثاني: بالقول، كتزكية العدل غيره، وذلك مذموم أن يفعل الإنسان بنفسه، وقد نهى الله تعالى عنه فقال: **{فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ}** [النجم: ٣٢]، ونهيه عن ذلك تأديب لقبح مدح الإنسان نفسه عقلاً وشرعاً، ولهذا قيل لحكيم: ما الذي لا يحسن وإن كان حقاً؟ فقال: مدح الرجل نفسه[٢].

قوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}آ {تُؤْثِرُونَ} آثر: اختار وفضل وقدم، وفي التنزيل: {تَاللَّهِ لَقَدْ آثَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا} [يوسف: ٩١] قال الأصمعي: آثرتك إيثارا، أي فضلتك.[٣]

ثانيا: الإعراب:

قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)} **(قَدْ)** حرف تحقيق **(مَنْ)** موصول في محلّ رفع فاعل، جملة: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** لا محلّ لها استئنافيّة، وجملة: **{تَزَكَّى}** لا محلّ لها صلة الموصول **(مَنْ)**، وجملة: **{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ}** لا محلّ لها معطوفة على جملة الصلة، وجملة: **{فَصَلَّى}** [الأعلى: ١٥] لا محلّ لها معطوفة على جملة ذكر[٤].

---

(١) المعجم الاشتقاقي المؤصل (٣٨١/٢).

(٢) المفردات في غريب القرآن (ص: ٣٨١).

(٣) تاج العروس(٢٠/١٠).

(٤) الجدول في إعراب القرآن (٣٠٨/٣٠)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٥/٤).

قوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} **(بَلْ)** للإضراب الانتقاليّ [(١)]، عن مقدّر أي أنتم لا تفعلون ذلك بل تؤثرون.. جملة: **{تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}** لا محلّ لها استئنافيّة، و**(الواو)** حاليّة،، وجملة: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** [الأعلى: ١٧] في محلّ نصب حال[(٢)].

قوله: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} **(اللام)** المزحلقة للتوكيد، **(لَفِي الصُّحُفِ)** متعلّق بخبر **(إِنَّ)**، و**(صُحُفِ)** بدل من **(الصُّحُفِ)** مجرور، وجملة: **{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}** لا محلّ لها استئنافيّة[(٣)].

ثالثا: من الصور البلاغية التي اشتملت عليها الآيات الكريمة:

قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** **(قَدْ)** حرف تحقيق دخل على الفعل الماضي فأفاد تأكيد وقوع الفعل، وعرف المسند إليه[(٤)] بالموصولية لتمكين الغرض المسوق له الكلام وتقريره ألا وهو الفلاح لمن يتحلى بهذه الصفات من التزكية والذكر والصلاة.

وقدم التزكي على ذكر الله والصلاة لأنه أصل العمل بذلك كله فإنه إذا تطهرت النفس أشرقت فيها أنوار الهداية فعلمت منافعها وأكثرت من الإقبال عليها[(٥)].

قوله: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى} **(فَصَلَّى)** الفاء للتفريع، وتفريع فصلى على

---

(١) مغني اللبيب (ص: ١٥٢)، دراسات لأسلوب القرآن الكريم (٨٦/٢).

(٢) الجدول في إعراب القرآن (٣٠٩/٣٠)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٥/٤).

(٣) الجدول في إعراب القرآن (٣٠٩/٣٠)، المجتبى من مشكل إعراب القرآن (١٤٤٥/٤).

(٤) يعني قوله: (مَنْ).

(٥) التحرير والتنوير (٢٨٨/٣٠).

ذكر اسم ربه على كلا الوجهين[١] لأن الذكر بمعنييه يبعث الذاكر على تعظيم الله تعالى والتقرب إليه بالصلاة التي هي خضوع وثناء[٢].

قوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} هنا التفات من الغيبة في قوله: **{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى}** إلى الخطاب في قوله: **{بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}** لتشديد التوبيخ في حق الكفرة وتشديد العتاب في حق المسلمين[٣].

قوله: {وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى} عطف على جملة التوبيخ عطف الخبر على الإنشاء لأن هذا الخبر يزيد إنشاء التوبيخ توجيهاً وتأييداً بأنهم في إعراضهم عن النظر في دلائل حياة آخرة قد أعرضوا عما هو خير وأبقى[٤].

قوله: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى} من المؤكدات التي أوكدت بها هذه الجملة **(إِنَّ)** ولام الابتداء في قوله: **(لَفِي)** واسمية الجملة حيث إن الآية خطاب للمنكرين من أهل مكة وكل من يتأتى منه الإنكار.

قوله: {صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى} في إبهام الصحف ووصفها بالقدم، ثم بيانها وتفسيرها، من تفخيم شأنها، ما لا يخفى[٥].

القراءات:

قوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} قرأ ابو عمرو **{يَلْ يُؤْثِرُونَ}** بالياء وحجته

---

(١) يجوز أن يكون من الذكر اللساني الذي هو بكسر الذال، ويجوز أن يكون من الذكر بضم الذال وهو حضور الشيء في النفس الذاكرة والمفكرة. التحرير والتنوير (٢٨٨/٣٠) بتصرف.

(٢) التحرير والتنوير (٢٨٨/٣٠).

(٣) إرشاد العقل السليم (١٤٦/٩)، تفسير حدائق الروح والريحان (٣٦٧/٣١).

(٤) التحرير والتنوير (٢٩٠/٣٠).

(٥) محاسن التأويل (٤٥٩/٩).

قوله: **{وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}** أي بَلْ يُؤْثِرُ وقرأ الباقون **{بَلْ تُؤْثِرُونَ}** بالتاء أي بل أنتم تؤثرون وحجتهم أن في قراءة أبي **{بَلْ أَنتُم تُؤْثِرُونَ}**[١].

قوله: **{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}** بإسكان الحاء هارون، وعصمة عن أَبِي عَمْرٍو، الباقون برفع الحاء كالحرف الثاني، وهو الاختيار للإشباع[٢].

قوله: **{صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ}** [البقرة: ١٢٦] قرأه ابن عامر بألف في موضع الياء هاهنا، لأنه في السواد بغير ياء، وفيه أربع لغات: إبراهيم،، وإبراهام، وإبراهم، وإبرهم قال الشاعر:

.... * عذت بما عاذ به إبراهم[٣]،

وقال الآخر:

نحن آل الله في قبلته ** لم يزل ذاك على عهد ابرهم[٤]

وقد عرفتك اتساع العرب في الأسماء الأعجمية إذا عربتها[٥].

---

(١) الحجة في القراءات السبع (ص: ٣٦٨)، حجة القراءات (ص: ٧٥٨)، جامع البيان في القراءات السبع (١٦٩٨/٤).

(٢) الكامل في القراءات العشر والأربعين الزائدة عليها (ص: ٦٥٩)، الدر المصون (٧٦٤/١٠).

(٣) إعراب ثلاثين سورة (ص: ٤)، البحر المحيط في التفسير (٥٩٦/١) قاله: زيد بن عمر بن نفيل.

(٤) إعراب ثلاثين سورة (ص: ٤)، البحر المحيط في التفسير (٥٩٦/١) قاله: عبد المطلب بن هاشم.

(٥) الحجة في القراءات السبع (ص: ٨٩).

التفسير والبيان:

قوله: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}

يخبر ربنا–سبحانه– أن الفلاح ألا وهو الفوز والنفع متحقق لمن اتصف بصفات منها التزكية، لكن وقع خلاف بين المفسرين في معنى التزكية هل هي زكاة الأعمال من الإيمان بالله ورسوله واتباع ما أمرا وترك ما نهيا أو زكاة الأموال التي تكون بإخراج الزكوات والصدقات؟وها هي أقوالهم:

أولا: أقوال القائلين بأن الزكاة هي زكاة الأعمال:

القول الأول: من تزكى من الشرك بالإيمان. قاله ابن عباس(١).

ودليلهم: ما روي عن جابر (ﷺ)، قال: قال رسول الله (ﷺ): **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** قال: من شهد أن لا إله إلا الله، وخلع الأنداد وشهد أني رسول الله، **{وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى}** قال: «هي الصلوات الخمس والمحافظة عليها»(٢).

القول الثاني: من كان عمله زاكياً نامياً. قاله الحسن والربيع(٣).

القول الثالث: من تزكى بالعمل الصالح والورع. قاله قتادة(٤).

القول الرابع: من آمن وأكثر من الاستغفار. قاله عطاء(٥).

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٧٣/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣٤١٧/١٠)، الكشف والبيان (١٨٥/١٠).

(٢) أخرجه الهيثمي في كشف الأستار عن زوائد البزار، كتاب التفسير، سورة سبح اسم ربك الأعلى (٨٠/٣) (٢٢٨٤) قال البزار: لا نعلمه عن جابر إلا بهذا الإسناد. وأخرجه في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (١٣٧/٧) (١١٤٨٨) وقال أيضاً: رواه البزار عن شيخه عباد بن أحمد العرزمي وهو متروك.

(٣) جامع البيان (٣٧٣/٢٤)، النكت والعيون (٢٥٥/٦)، تفسير البغوي (٢٤٢/٥) وغيرهم.

(٤) جامع البيان (٣٧٣/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٥/١٠)، الهداية إلى بلوغ النهاية (٨٢١٣/١٢) وغيرهم.

(٥) تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣٤١٧/١٠)، الهداية الى بلوغ النهاية (٨٢١٣/١٢).

هذه بعض الأقوال التي قيلت في زكاة الأعمال وهي جميعها تدعوا إلى التوحيد والإخلاص لله في العمل والزيادة في فعل الخيرات.

وهذا من التفسير بجزء المعنى[1]، فكلمة الإخلاص تعني عدم الشرك والعمل بما تقتضيه.

ثانيا: أقوال القائلين بأن الزكاة هي زكاة الأموال:

القول الأول: قد أفلح من أدى زكاة ماله. قاله سعيد بن جبير وعطاء وقتادة وأبو الأحوص[2][3].

القول الثاني: قد أفلح من أدى زكاة فطره. قاله ابن مسعود وأبو سعيد الخدري وابن عمر وعطاء وأبو العالية[4].

من أدلتهم:

(١) ما رواه عبد الله بن نافع عن كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده عن

---

(١) هذا كثيرا ما يأتي في تفسير ألفاظ القرآن والرسول (ﷺ) يفسر اللفظة بلازمها وجزء معناها كتفسير الريب بالشك والشك جزء مسمى الريب وتفسير المغفرة بالستر وهو جزء مسمى المغفرة وتفسير الرحمة بإرادة الإحسان وهو لازم الرحمة ونظائر ذلك كثيرة قد ذكرناها في أصول التفسير. جلاء الأفهام (ص: ١٥٩).

(٢) الحسين بن عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن محمد، الإمام أبو علي بن أبي الأحوص القرشي الفهري، الغرناطي الموطن، كان من أهل الضّبط والإتقان في الرواية ومعرفة الأسانيد، آخذا بحظّ من كلّ علم، حافظاً للتّفسير والحديث، مات بغرناطة، سنة تسع وسبعين وستمائة. طبقات المفسرين للداوودي (١٥٣/١).

(٣) جامع البيان (٣٧٤/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٨/١٠)، المحرر الوجيز (٤٧٠/٥) وغيرهم.

(٤) جامع البيان (٣٧٤/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم (٣٤١٨/١٠)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٧١/٤) وغيرهم.

النبي (ﷺ) في قوله: قد أفلح من تزكى قال: «أخرج زكاة الفطر، وخرج إلى المصلى فصلى»[1].

(٢) **وروى عن نافع قال:** كان ابن عمر إذا صلى الغداة– يعني من يوم العيد– قال: يا نافع أخرجت الصدقة فإن قلت نعم مضى إلى المصلى وإن قلت لا قال: فالآن فأخرج، فإنما نزلت هذه الآية في هذا **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)}**[2].

(٣) **وعن أبي خلدة**[3]**، قال:** دخلت على أبي العالية، فقال لي: إذا غدوت غدا إلى العيد فمر بي، قال: فمررت به فقال: هل طمعت شيئاً؟ قلت: نعم، قال: أفضت على نفسك من الماء، قلت: نعم، قال: فأخبرني ما فعلت زكاتك؟ قلت: قد وجهتها قال: إنما أردتك لهذا ثم قرأ **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)}** وقال: إن أهل المدينة لا يرون صدقة أفضل منها ومن سقاية الماء[4].

---

(١) مسند البزار، مسند عمرو بن عوف عن النبي (ﷺ) (٣١٣/٨)(٣٣٨٣) قال البزار: وهذا الحديث لا نعلم رواه بهذا اللفظ عن النبي (ﷺ) إلا عمرو بن عوف، ولا نعلم حدثه عن عمرو بن عوف إلا ابنه عبد الله بن عمرو، ولا حدثه عن عبد الله بن عمرو إلا كثير بن عبد الله. وقال الأعظمي: إسناده ضعيف جدا كثير بن عبد الله متهم بالكذب. المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة (١٩٧/٩) وقال الشوكاني: كثير بن عبد الله ضعيف جدا، قال فيه أبو داود: هو ركن من أركان الكذب. فتح القدير للشوكاني (٥١٨/٥).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٥/١٠)، تفسير البغوي – إحياء التراث (٢٤٢/٥) وغيرهما.

(٣) خالد بن دينار أبو خلدة السعدي التميمي البصري، سمع أبا العالية، رأى أنسا والحسن، سمع منه وكيع وأبو نعيم، وقال عمرو بن علي عن يزيد بن زريع: كان ثقة. التاريخ الكبير للبخاري بحواشي المطبوع (١٤٧/٣).

(٤) جامع البيان ت شاكر (٣٧٤/٢٤)، الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٥/١٠) وغيرهما.

والقول أن الآية نزلت في زكاة الفطر ردَّه من المفسرين الثعلبي والسمعاني والشوكاني[١].

قال الثعلبي: لا أدري ما وجه هذا التأويل، لأن هذه السورة مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد، ولا زكاة فطر والله أعلم[٢].

لكن وجدت كثيراً من المفسرين ممن رجحوا هذا القول منهم البغوي والقرطبي والنيسابوري[٣].

قال البغوي: قال بعضهم: لا أدري ما وجه هذا التأويل لأن هذه السورة مكية ولم يكن بمكة عيد ولا زكاة فطر. قلت: يجوز أن يكون النزول سابقا على الحكم كما قال: **{وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ}** [البلد: ٢] فالسورة مكية، وظهر أثر الحل يوم الفتح حتى قال عليه الصلاة والسلام: «أحلت لي ساعة من نهار»[٤] وكذلك نزل بمكة: **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}** [القمر: ٤٥]. قال عمر بن الخطاب: كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي (ﷺ) يثب في الدرع ويقول: **{سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ}** [القمر: ٤٥][٥].

---

(١) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/١٨٥)، تفسير السمعاني (٦/٢١٠)، فتح القدير للشوكاني (٥/٥١٨).

(٢) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٠/١٨٥).

(٣) تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/٢٤٢)، تفسير القرطبي (٢٠/٢١)، غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٦/٤٨٧).

(٤) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الإذخر والحشيش في القبر (٢/٩٢)(١٣٤٩).

(٥) تفسير البغوي – إحياء التراث (٥/٢٤٢).

وقال النيسابوري: ضعف[١] بأنه خلاف ما ورد في مواضع أخر من القرآن من تقديم الصلاة على الزكاة. والجواب إنما ورد هكذا لأن زكاة الفطر مقدّمة على صلاته[٢].

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي –والله أعلم– أن الآية في زكاة الأعمال حيث التحلية والتخلية فالتخلية من الشرك والتحلية بالإيمان وهذا قول ابن عباس (ﷺ) ومما يقوي ما ذهبت إليه ما يأتي:

(١) أن السورة كلها مكية ولم تشرع زكاة الفطر إلا في السنة الثانية من الهجرة بعد فرض صيام رمضان.

(٢) أن كلمة (تَزَكَّى) تأتي في اللغة فيما يخص الأعمال قال ابن عادل: الأول أظهر[٣]؛ لأن اللفظ المعتاد أن «يقال» في المال: زكى، ولا يقال: تزكى، قال تعالى: **{ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه}** [فاطر: ١٨][٤].

ولعل هذا هو الغالب في معهود الاستعمال القرآني.

(٣) هذا القول أعم الأقوال قال القاسمي: الأول أظهر[٥]، لأنه أشمل وأعم

---

(١) يريد بهذا الرازي. التفسير الكبير (١٣٦/٣١) قال القاسمي: المعهود في التنزيل الكريم تقديم الصلاة. وأجيب بأنه لا ضير في مخالفة العادة، مع أن الجاري تقديمها إذا ذكرت باسمها. أما إذا ذكرت بفعل مأخوذ منها، فلا كقوله: **{فلا صدق ولا صلى}** [القيامة: ٣١] محاسن التأويل (٤٥٩/٩).

(٢) غرائب القرآن ورغائب الفرقان (٤٨٧/٦).

(٣) يريد التزكية من الشرك.

(٤) اللباب في علوم الكتاب (٢٨٤/٢٠).

(٥) يريد التزكية من الشرك.

وهو أكثر فائدة[1].

(٤) **قال الرازي:** إنه معتضد بوجهين: الأول: أنه تعالى لما لم يذكر في الآية ما يجب التزكي عنه علمنا أن المراد هو التزكي عما مر ذكره قبل الآية، وذلك هو الكفر، فعلمنا أن المراد هاهنا: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** عن الكفر الذي مر ذكره قبل هذه الآية والثاني: أن الاسم المطلق ينصرف إلى المسمى الكامل، وأكمل أنواع التزكية هو تزكية القلب عن ظلمة الكفر فوجب صرف هذا المطلق إليه، ويتأكد هذا التأويل بما روي عن ابن عباس أنه قال معنى: تزكى قول: لا إله إلا الله[2].

(٥) ما روي عن كثير بن عبد الله فقد حكم عليه بعض العلماء بالضعف وبعضهم بالوضع، وما روي عن ابن عمر وأبي العالية فقد يكون موطن استشهاد لما يجب فعله قبل الذهاب إلى مصلى العيد وليس سبباً للنزول.

وكذلك ما أتي به البغوي من أدلة على جواز أن يكون النزول سابقاً على الحكم قد تصلح لكن لغير هذا الموضع.

قوله: {وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)}

بعد أن ذكر ربنا-سبحانه- الصفة الأولى التي يترتب عليها الفلاح ألا وهي تزكية النفس عطف عليها بقية الصفات التي تؤدي إلى ذلك ألا وهي الذكر والصلاة.

وهذه ليست صفات أهل الفلاح فقط بل ذكر القرآن لهم صفات أخرى كما في قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ (١) الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ (٢)}** [المؤمنون: ١، ٢].... الآيات وقوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ**

---

(١) محاسن التأويل (٤٥٩/٩).

(٢) التفسير الكبير (١٣٥/٣١).

دَسَّاهَا} [الشمس: ٩، ١٠] وذكر ربنا –سبحانه– صفاتهم في أول البقرة ثم ختم بقوله: **{أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ}** [البقرة: ٥].

ووقع خلاف بين المفسرين في المعني بالذكر والمراد بالصلاة؟

أولا: المعني بـ (الذكر):

القول الأول: توحيد الله –سبحانه– قاله ابن عباس (ﷺ)[١].

القول الثاني: دعاه ورغب إليه[٢].

القول الثالث: أن يفتتح كل سورة ببسم الله الرحمن الرحيم[٣].

القول الرابع: الذكر تكبيرات العيد[٤].

القول الخامس: الذكر تكبيرة الافتتاح[٥].

القول المختار:

هذه بعض الأقوال التي قيلت في معنى الذكر في الآية الكريمة، وهناك أقوال أخرى جميعها داخلة في الذكر ولذا قال الطبري بعد ذكر بعضها: الصواب من القول في ذلك أن يقال: ذكر الله فوحده، ودعاه ورغب إليه؛ لأن كل ذلك من ذكر الله، ولم يخصص الله تعالى من ذكره نوعاً دون نوع[٦].

فلعل كل من ذكر قولاً من الأقوال أتى بالآية على سبيل الاستشهاد دون

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٧٤/٢٤)، الهداية الى بلوغ النهاية (٨٢١٤/١٢)، النكت والعيون (٢٥٥/٦) وغيرهم.

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٧٤/٢٤)، النكت والعيون (٢٥٥/٦).

(٣) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٥/١٠)، النكت والعيون (٢٥٥/٦).

(٤) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٥/١٠)، تفسير البغوي – إحياء التراث (٢٤٣/٥).

(٥) الكشاف (٧٤٠/٤)، تفسير القرطبي (٢٢/٢٠).

(٦) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤).

تخطأت غيره ودون أن يكون هذا سبب نزول تلك الآية، والقرآن حمَّال أوجه كما هو معلوم.

ثانيا: المراد بـ(الصلاة):

القول الأول: الصلوات الخمس. قاله ابن عباس ﷺ[1].

القول الثاني: صلاة عيد الفطر.قاله أبو سعيد الخدري (ﷺ)[2].

القول الثالث: الصلاة هاهنا: الدعاء[3].

القول المختار:

بعد ذكر الأقوال التي قيلت في المراد بـــ(الصلاة) في الآية الكريمة والتي ذكرت بعضها، يتبين- والله أعلم- أن المراد بـــ(الصلاة) هي الصلوات الخمس.

وهذا ما رجحه ابن الجوزي حيث قال: القول قول ابن عباس في الآيتين[4]، فإن هذه السورة مكية بلا خلاف، ولم يكن بمكة زكاة، ولا عيد[5].

وقول ابن الجوزي قول وجيه، فقد ذكر سبب اختياره وهو كون السورة مكية

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٥/١٠)، الهداية الى بلوغ النهاية (٨٢١٤/١٢) وغيرهم.

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٧١/٤)، زاد المسير (٤٣٣/٤) وغيرهم.

(٣) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤)، الكشف والبيان (١٨٥/١٠، تفسير البغوي (٢٤٣/٥) وغيرهم.

(٤) يعني قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥)}** [الأعلى: ١٤، ١٥]

١٥]

(٥) زاد المسير في علم التفسير (٤٣٣/٤).

ولم يكن بمكة صيام رمضان وصلاة عيد فطر وإنما كان كل ذلك بالمدينة، وأما كثير بن عبدالله الذي رفع حديثاً لرسول الله (ﷺ) في هذا الأمر فهو متهم بالوضع[١]، ويكفي هذا القول ترجيحاً أنه قول حبر الأمة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما).

قوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}.

بعد أن ذكرت الآيتان السابقتان صفات أهل الفلاح، أتت هاتان الآيتان على سبيل الالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتوضح أن هناك من الناس من يؤثر الدنيا الدنية الفانية على الآخرة الشريفة الباقية، وذلك بأن يجعل المرء الدنيا أكبر همه ومبلغ علمه وقد استعاذ رسول الله (ﷺ) من ذلك فقال (ﷺ): ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا، ولا تسلط علينا من لا يرحمنا[٢].

وجاء في السنة النبوية المشرفة على صاحبها أزكى السلام وأتم التسليم ما يبن هذا المعنى جلياً، فعن أبي موسى الأشعري، أن رسول (ﷺ) قال: "من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى"[٣] وقال (ﷺ): «والله ما الدنيا في الآخرة إلا مِثْلُ ما يجعل أحدكم إِصْبَعَهُ

---

(١) ص (٢٠).

(٢) جزء من حديث أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الدعوات عن رسول الله (ﷺ)، باب جامع الدعوات عن النبي (ﷺ)، (٥٢٨/٥) (٣٥٠٢) قال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وأخرجه النسائي في عمل اليوم والليلة، مَا يَقُول إِذا جلس فِي مجْلِس كثر فِيهِ لغطه (ص: ٣٠٨) (٤٠١).

(٣) مسند أحمد ط الرسالة، مسند الكوفيين، (٤٧٠/٣٢)(١٩٦٩٧) قال: شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره. وأخرجه ابن حبان في صحيحه، كتاب الرقائق، باب الفقر والزهد والقناعة، ذكر الإخبار بأن الإمعان في الدنيا يضر في العقبى كما أن الإمعان في طلب الآخرة يضر في فضول الدنيا (٤٨٦/٢)(٧٠٩).

هذه في اليم، فلينظر بم ترجع؟»[(١)]، لكنَّ الاستكثار من أمر الدنيا مع عدم ترك أسباب الفلاح ليس بمذموم، لقوله: تعالى: **{وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ}** [القصص: ٧٧].

وقد اختلف المفسرون في المخاطب بهاتين الآيتين على النحو الآتي:

القول الأول: أن الخطاب للناس جميعاً. قاله ابن مسعود وقتادة[(٢)].

وهذا ما ذهب إليه الطبري وابن أبي حاتم وابن عطية وغيرهم[(٣)].

قال الطبري: يقول للناس: **{بَلْ تُؤْثِرُونَ}** أيها الناس زينة الحياة الدنيا على الآخرة **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ}** لكم **{وَأَبْقَى}**[(٤)].

القول الثاني: أن الخطاب لأهل الكفر والنفاق. وهذا ما ذهب إليه الماتريدي والنسفي والطاهر بن عاشور[(٥)]، وهو قول أكثر المفسرين[(٦)].

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٢١٩٣/٤) (٢٨٥٨).

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤).

(٣) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣٤١٩/١٠)، المحرر الوجيز (٤٧٠/٥).

(٤) جامع البيان ت شاكر (٣٧٥/٢٤) قال ابن الجوزي: فإن أريد بذلك الكفار، فالمعنى: أنهم يؤثرون الدنيا على الآخرة، لأنهم لا يؤمنون بها، وإن أريد به المسلمون، فالمعنى: يريدون الاستكثار من الدنيا على الاستكثار من الثواب. زاد المسير في علم التفسير (٤٣٣/٤).

(٥) تأويلات أهل السنة (٥٠٦/١٠)، مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٣٢/٣)، التحرير والتنوير (٢٨٩/٣٠).

(٦) التفسير الوسيط لطنطاوي (٣٦٨/١٥).

قال النسفي: المخاطب به الكافرون دليله قراءة أبي عمرو (يؤثرون) بالياء[١].

وقال الطاهر: قرأ الجمهور تؤثرون بمثناة فوقية بصيغة الخطاب، والخطاب موجه للمشركين بقرينة السياق وهو التفات، وقرأه أبو عمرو وحده بالمثناة التحتية على طريقة الغيبة عائدا إلى **{الْأَشْقَى (١١) الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَى}**[٢].

القول الثالث: أن الخطاب للمسلمين دون غيرهم. ذكره الماوردي فقال: أن المراد بها المسلمون ، فيكون تأويلها: يؤثرون الاستكثار من الدنيا للاستكثار من الثواب[٣].

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي– والله أعلم– أن الخطاب للناس جميعاً، ليرجع الكافر عن كفره والمذنب عن ذنبه ويجتهد المؤمن في أمر الآخرة فهي الباقية قال تعالى: **{وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}** [العنكبوت: ٦٤] وإذا كان الخطاب للناس جميعاً فيدخل فيهم أهل الكفر دخولاً أولياً، وبذلك يحمل الأمر على العموم والشمول.

قوله: {إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى (١٨) صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}

هذ إجمال بعد تفصيل، بعد أن فصل –سبحانه– أسباب الفلاح من قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** إلى قوله: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** أجمل ذلك بقوله:**{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}** ثم بين الآية وفسرها بما بعدها فقال –سبحانه–: **{صُحُفِ**

(١) مدارك التنزيل وحقائق التأويل (٦٣٢/٣).

(٢) التحرير والتنوير (٢٨٩/٣٠).

(٣) النكت والعيون (٢٥٦/٦).

إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى}.

ولعل القرآن ذكر صحف إبراهيم وموسى دون غيرهما، لأن العرب كانت تفتخر بالانتساب إلي أبيها إبراهيم ولذا خاطبهم القرآن بتباع ملته فقال -سبحانه-: **{قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ}** [آل عمران: ٩٥]، روي أن أبا طالب بن عبد المطلب خَطَب لما تقدم رسول الله (ﷺ) لخِطبة خديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) فقال: الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم، وزرع إسماعيل، وجعل لنا بلداً حراماً، وبيتاً محجوجاً[(١)]. مفتخراً بأنهم من ذرية إبراهيم (ﷺ).

وأما بالنسبة لسيدنا موسى فأمره كان مشهوراً عند العرب لمخالطتهم أهل الكتاب، ولذا لما أنكر من أنكر نبوته (ﷺ) ذكرهم القرآن بأن محمداً (ﷺ) نبي كموسى بن عمران (ﷺ) فقال سبحانه: **{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا}** [المزمل: ١٥] ومن المعلوم أن سورة المزمل من أوائل ما نزل بمكة بعد البعثة.

ومما ذكر من كلام الأنبياء وشرائعهم وذاع بين الناس ما روي عن أبي مسعود، قال النبي (ﷺ): «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة، إذا لم تستحي فاصنع ما شئت»[(٢)].

هذا وقد وقع خلاف بين المفسرين في المشار إليه في قوله: **{إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى}** على النحو الآتي:

---

(١) جزء من خطبة أبي طالب. ناقب علي لابن المغازلي، خطبة أبي طالب لما تزوج رسول الله (ﷺ) (ص: ٣٩٩) (٣٧٩)، المنهل العذب المورود شرح سنن أبي داود، (كتاب الجنائز) (باب الرجل يموت له قرابة مشرك) (٦٤/٩).

(٢) صحيح البخاري، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (١٧٧/٤)(٣٤٨٤).

القول الأول: أن المشار إليه هو القرآن. قاله الضحاك[١]. لعله يريد البعض دون الكل.

القول الثاني: أن المشار إليه هو جميع السورة. قاله عكرمة والسدي[٢].

القول الثالث: أن المشار إليه قصة هذه السورة في الصحف الأولى. قاله أبو العالية[٣].

قال ابن قتيبة موضحاً هذا: لم يُرد أن معنى السورة في الصحف الأولى، ولا الألفاظَ بعينها. وإنما أراد: أن "الفَلاحَ لِمَنْ تَزَكَّى، وذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى" في الصحف الأولى، كما هو في القرآن[٤].

القول الرابع: أن المشار إليه من قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** إلى آخر السورة. قاله الكلبي[٥].

القول الخامس: أن المشار إليه من قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** إلى قوله: **...وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**. قاله قتادة وابن زيد[٦].

وهذا القول رجحه الطبري وابن عطية وابن كثير والطاهر بن عاشور[٧].

---

(١) الكشف والبيان (١٨٦/١٠)، المحرر الوجيز (٤٧٠/٥)، تفسير القرطبي (٢٤/٢٠) وغيرهم.

(٢) جامع البيان ت شاكر (٣٧٦/٢٤)، التفسير الوسيط للواحدي (٤٧٢/٤)، زاد المسير (٤٣٣/٤) وغيرهم.

(٣) جامع البيان ت شاكر (٣٧٦/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣٤١٩/١٠)، تفسير ابن كثير (٣٧٥/٨).

(٤) غريب القرآن لابن قتيبة ت أحمد صقر (ص: ٥٢٤).

(٥) الكشف والبيان عن تفسير القرآن (١٨٦/١٠)، تفسير القرطبي (٢٤/٢٠).

(٦) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز (٤٧١/٥)، البحر المحيط (٤٥٨/١٠)، تفسير ابن كثير (٣٧٥/٨).

(٧) جامع البيان (٣٧٧/٢٤)، المحرر الوجيز (٤٧١/٥)، تفسير ابن كثير (٣٧٥/٨)، التحرير والتنوير (٢٩١/٣٠).

قال الطبري: أولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال: إن قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** لفي الصحف الأولى، صحف إبراهيم خليل الرحمن، وصحف موسى بن عمران، وإنما قلت: ذلك أولى بالصحة من غيره؛ لأن هذا إشارة إلى حاضر، فلأن يكون إشارة إلى ما قرب منها أولى من أن يكون إشارة إلى غيره(١).

وقال الطاهر: الإشارة بكلمة **(هذا)** إلى مجموع قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** إلى قوله: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** فإن ما قبل ذلك من أول السورة إلى قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}**، ليس مما ثبت معناه في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام).

روى عن أبي ذر قال: «قلت يا رسول الله هل أنزل عليك شيء مما كان في صحف إبراهيم وموسى؟ قال: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى (١٤) وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى (١٥) بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (١٦) وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}**(٢)(٣).

القول السادس: أن المشار إليه قوله: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** تتابعت كتب الله كما تسمعون أن الآخرة خير وأبقى. قاله قتادة(٤).

قال الرازي: ذلك لأن الإشارة راجعة إلى أقرب المذكورات وذلك هو هذه الآية(٥).

---

(١) جامع البيان ت شاكر (٣٧٧/٢٤).

(٢) كنز العمال، كتاب المواعظ والرقائق والخطب والحكم من قسم، فصل في جامع المواعظ والخطب خطب النبي (ﷺ) ومواعظه (١٣٤/١٦)(٤٤١٥٨)، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (١٦٦/١).

(٣) التحرير والتنوير (٢٩١/٣٠).

(٤) جامع البيان ت شاكر (٣٧٦/٢٤)، تفسير ابن أبي حاتم – محققا (٣٤١٩/١٠)، الكشف والبيان (١٨٦/١٠).

(٥) التفسير الكبير (١٣٧/٣١).

القول المختار:

مما سبق من أقوال يتبين لي – والله أعلم– أن المشار إليه من قوله: **{قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى}** [الأعلى: ١٤] إلى قوله: **{وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى}** [الأعلى: ١٧] هو القول الأولى بالصواب وذلك لما يأتي:

(١) رجحه عدد من المفسرين ذكرتهم عند إيراد الأقوال في المسالة.

(٢) لما روي فيه من حديث أبي ذر (ﷺ) عن النبي (ﷺ) المذكور آنفاً.

ومن المعلوم أن الحديث إذا ورد في معني قول كان راجحاً على غيره فالحديث وجه من وجوه الترجيح قال ابن جزي: إذا ورد عنه (ﷺ) تفسير شيء من القرآن عولنا عليه لا سيما إن ورد في الحديث الصحيح[١].

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على أشرف خلقه وتاج رسله وعلى آله وصحبه وسلامه والحمد لله وحده

فرغت منه بعد صلاة الفجر يوم الخميس:٢٠/ ٧/ ٢٠٢٣ م، الثاني من محرم لعام ١٤٤٥ هـ

(١) التسهيل لعلوم التنزيل (١/١٩).

الخاتمة

أحمد الله-سبحانه وتعالى- أن يسر لي إتمام هذا البحث فهو سبحانه المستعان وعليه التكلان ومنه الهداية وبه التوفيق، فقد منَّ الله على بتفسير سورة الأعلى وأود ذكر بعض الدروس التي حصلتها عند تفسيرها:

(١) أن التسبيح لفظة شرعية لا تطلق إلا على المولى (ﷻ) ولا تضاف لغيره.

(٢) أن التسبيح في القرآن يأتي عند ذكر الأمور العظام كما هو الحال في حادثة الإسراء والمعراج وعند إقبال الليل وإدبار النهار، وعند تنزيهه -سبحانه- مما يقوله المبطلون، وكما يكون بالقول يكون بالفعل.

(٣) كان رسول الله (ﷺ) يحب هذه السورة، ويصلي بها في الجمع والأعياد والوتر لكثرت ما اشتملت عليه من العلوم والخيرات، وأكثر السلف كانوا يواظبون عليها في التهجد ويعترفون ببركتها.

(٤) أصالة لفظة (اسم) في قوله: **{سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى}** [الأعلى: ١] حيث إن الله -سبحانه- أمرنا بتنزيه اسمه كما أمرنا بتنزيه ذاته خلافاً لمن قال بزيادتها.

(٤) أن الخلق والتسوية والتقدير والهداية كلها على العموم في السورة الكريمة لا مخصص لها.

(٥) الاستلال بالخلق والهداية على وجود الله وقدرته هي الطريقة المعتمدة عند أكابر الأنبياء كإبراهيم وموسى (عليهما السلام) حيث إن مشاهدة الإنسان لها واطلاعه عليها أتم.

(٦) النسيان ممتنع فيما أمر بتبليغه (ﷺ)، إذ هو معصوم فإذا بلغه ووعي عنه، فالنسيان جائز على أن يتذكر بعد ذلك وعلى أن يسنّ، أو على النسخ

لقوله: **{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا}** [البقرة: ١٠٦].

(٧) من وجوه الإعجاز الإخبار بالغيب وقد بشر الله رسوله (ﷺ) ببشارتين أحدهما عدم النسيان مع أميته (ﷺ) وتيسير الأمور له بجعل دينه وشرعه سهلاً.

(٨) أن (لا) في قوله: **{سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى}** [الأعلى: ٦] نافية وهذا ماتقتضيه البشرى والمعجزة لرسول الله (ﷺ) وهو أيضاً الموافق لرسم المصحف الشريف.

(٩) أن (إن) في قوله: **{فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى}** [الأعلى: ٩] شرطية، والنبي (ﷺ) مأمور بالتذكر المشروط بالنفع في هذا الموضع من كتاب الله– تعالى– وعلى وجه العموم يشترط في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يكون مظنة النفع فإذا جزم بعد النفع حينئذ لا يجب حيث يؤدي إلى ضرر أكثر منه.

(١٠) الجزاء من جنس العمل، فإن الأشقى في الدنيا لا يحي حياة تنفعه وترفعه وتسعده ولا ميتاً عديم الإحساس، وهو في الآخرة كذلك لقوله: **{وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا}** [الإسراء: ٧٢] فالأمر على حقيقته في قوله: **{ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى}** [الأعلى: ١٣].

(١١) وصف الدنيا بالدنو والآخرة بالبقاء دليل على دنو الدنيا وعلو الآخرة فالدنيا دانية فانية والآخرة شريفة باقية، والعاقل يؤثر الباقي على الفاني.

(١٢) بعض ما جاء في هذه السورة الكريمة موافقاً لما في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام) وورد مثل ذلك في سورة النجم قال تعالى: **{أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى (٣٦) وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى}** [النجم: ٣٦، ٣٧] فالكل من مشكاة واحدة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**
- **أسرار ترتيب القرآن**، للسيوطي، دار الفضيلة للنشر والتوزيع.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل**، للبيضاوي، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١، ١٤١٨هـ.
- **أوضح التفاسير لعبد اللطيف بن الخطيب**، المطبعة المصرية ومكتبتها، ط٦: ١٣٨٣هـ.
- **إرشاد العقل السليم لأبي السعود**، دار إحياء التراث العربي – بيروت.
-**إعراب القرآن للنحاس، دار الكتب العلمية**، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- **إعراب القرآن وبيانه لمحيي الدين بن أحمد مصطفى درويش**، دار الإرشاد للشئون الجامعية – حمص – سورية، ط٤: ١٤١٥هـ.
-**إعراب القرآن للأصبهاني**، وثقت نصوصه: الدكتورة فائزة بنت عمر المؤيد، ط١: ١٤١٥هـ.
- **إعراب القرآن الكريم**، لأحمد عبيد الدعاس- أحمد محمد حميدان – إسماعيل محمود القاسم، دار المنير ودار الفارابي – دمشق، ط١: ١٤٢٥هـ.
- **إعراب ثلاثين سورة**، لابن خالويه، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦٠هـ.
- **الإبانة في اللغة العربية لسَلَمة بن مُسْلِم العَوْتبي الصُحاري**، المحقق: د. عبد الكريم خليفة، وزارة التراث القومي والثقافة – مسقط – سلطنة عمان، ط١: ١٤٢٠هـ.
- **الإتقان في علوم القرآن**، للسيوطي، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط: ١٣٩٤هـ.
- **الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ.

– **الأعلام للزركلي**، دار العلم للملايين، ط١٥: مايو ٢٠٠٢م.

– **الإيضاح للقزويني**، المحقق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل – بيروت، ط٣.

– **بحر العلوم**، للسمرقندي (المتوفى: ٣٧٣هـ).

– **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز للفيروز آبادي**، المحقق: محمد علي النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

– **بغية الإيضاح**، لعبد المتعال الصعيدي، مكتبة الآداب، ط١٧: ٢٠٠٥م.

– **البحر المحيط لأبي حيان**، المحقق: صدقي جميل، دار الفكر – بيروت، ط: ١٤٢٠هـ.

– **البرهان في تناسب سور القرآن**، لأحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي، تحقيق: محمد شعباني، دار النشر: وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ـ المغرب، ط: ١٤١٠هـ.

– **البرهان في علوم القرآن للزركشي**، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابي الحلبي وشركائه، ط١: ١٣٧٦هـ.

– **البيان في عدّ آي القرآن**، لأبي عمرو الداني، المحقق: غانم قدوري الحمد، مركز المخطوطات والتراث – الكويت، ط١: ١٤١٤هـ.

– **تاج العروس لمرتضى**، الزَّبيدي، المحقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

– **تذكرة الحفاظ للذهبي**، دار الكتب العلمية بيروت– لبنان، ط١: ١٤١٩هـ.

– **تفسير الماتريدي**، المحقق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلمية – بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٦هـ.

– **تفسير القرآن العزيز**، لابن أبي زَمَنِين، المحقق: حسين بن عكاشة – محمد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة – مصر/ القاهرة، ط١: ١٤٢٣هـ.

- **تفسير القرآن للعز بن عبد السلام**، المحقق: الدكتور عبد الله بن إبراهيم الوهبي، دار ابن حزم – بيروت، ط١: ١٤١٦هـ.

- **تفسير القرآن العظيم لابن كثير**، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، ط: ١٤١٩هـ.

- **تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم**، المحقق: أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز – المملكة العربية السعودية، ط٢: ١٤١٩هـ.

- **تفسير القرآن للسمعاني**. المحقق: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض – السعودية، ط١: ١٤١٨هـ.

- تفسير حدائق الروح والريحان في روابي علوم القرآن، للأمين الهرري، إشراف: د. هاشم محمد علي بن حسين مهدي، دار طوق النجاة، بيروت – لبنان، ط ١ ١٤٢١هـ.

- **تفسير المراغي**، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي، ط ١: ١٣٦٥هـ.

- **تهذيب اللغة للأزهري**، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، ط١: ٢٠٠١م.

- **التبيان في إعراب القرآن للعكبري**، المحقق: علي محمد البجاوي، ط: الحلبي.

- **التحرير والتنوير للطاهر ابن عاشور**، الدار التونسية للنشر، ط: ١٩٨٤هـ.

- **التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزي الكلبي**، المحقق: الدكتور عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم – بيروت، ط١ – ١٤١٦هـ.

- **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج للزحيلي**، دار الفكر المعاصر – دمشق، ط٢: ١٤١٨هـ.

- **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة، الفجالة / القاهرة، ط١.

– **التمهيد لابن عبد البر**، تحقيق: مصطفى بن أحمد العلوي، محمد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب ط: ١٣٨٧هـ.

– **جامع البيان في تأويل القرآن للطبري**، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١: ١٤٢٠هـ.

– **جامع البيان في القراءات السبع لأبي عمرو الداني**، جامعة الشارقة، ط١: ١٤٢٨هـ.

– **جزء القراءة خلف الإمام للبخاري**، حققه وعلق عليه: الأستاذ فضل الرحمن الثوري، راجعه: الأستاذ محمد عطا الله خليف الفوحباني، المكتبة السلفية، ط١: ١٤٠٠هـ.

– **جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام لابن قيم الجوزية**، المحقق: شعيب الأرناؤوط – عبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة – الكويت، ط٢: ١٤٠٧هـ.

– **جمهرة اللغة، لابن دريد الأزدي**، المحقق: رمزي منير، دار العلم للملايين – بيروت، ط١: ١٩٨٧م.

– **الجامع لأحكام القرآن للقرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية – القاهرة، ط٢: ١٣٨٤هـ.

– **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله وسننه وأيامه للبخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١: ١٤٢٢هـ.

– **الجدول في إعراب القرآن الكريم لمحمود بن عبد الرحيم صافي**، دار الرشيد، دمشق – مؤسسة الإيمان، بيروت، ط٤، ١٤١٨هـ.

– **حجة القراءات لأبي زرعة ابن زنجلة**، محقق الكتاب: سعيد الأفغاني، ط: دار الرسالة.

– **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم**، ط:١٣٩٤هـ.

-**الحجة في القراءات السبع لا بن خالويه**، المحقق: د. عبد العال سالم مكرم- بيروت، ط٤: ١٤٠١هـ.

-**الحجة للقراء السبعة لأبي علي الفارسي**، المحقق: بدر الدين قهوجي، دار المأمون للتراث - دمشق / بيروت، ط٢: ١٤١٣هـ.

- **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، للبغدادي، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٤: ١٤١٨هـ.

- **خصائص التراكيب لمحمد محمد أبو موسى**، مكتبة وهبة، ط٧.

- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم لمحمد عبد الخالق عضيمة**، دار الحديث، القاهرة.

- **دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني**، المحقق: محمود شاكر، مطبعة المدني بالقاهرة، ط٣: ١٤١٣هـ.

- **الدر المنثور للسيوطي**، دار الفكر - بيروت.

- **الدر المصون للسمين الحلبي**، المحقق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

- **روح المعاني للألوسي**، المحقق: علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١: ١٤١٥هـ.

- **زاد المسير لابن الجوزي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي. دار الكتاب العربي - بيروت، ط١: ١٤٢٢ هـ.

- **زهرة التفاسير لأبي زهرة**، دار الفكر العربي.

- **سنن ابن ماجه**، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد - محمَّد كامل قره بللي - عَبد اللّطيف حرز الله، دار الرسالة العالمية، ط١: ١٤٣٠هـ.

- **سير أعلام النبلاء للذهبي**، ط: دار الحديث- القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ.

- **السراج المنير شرح الجامع الصغير في حديث البشير النذير للعزيزي**.

- **السنن الكبرى للنسائي**، حققه وخرج أحاديثه: حسن عبد المنعم شلبي،

أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط١: ١٤٢١هـ.

– **شذا العرف في فن الصرف للحملاوي**، المحقق: نصر الله عبد الرحمن، مكتبة الرشد الرياض.

– **شرح تسهيل الفوائد**، لمحمد بن عبد الله، ابن مالك الطائي الجياني، المحقق: د. عبد الرحمن السيد، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١: ١٤١٠هـ.

– **شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات لابن الأنباري**، تحقيق: عبد السلام هارون، دار المعارف، ط٥.

– **شرح لامية العجم لأبي البقاء الشافعي**، تحقيق: د. جميل عويضة، ط: ١٤٢٩هـ.

– **شرح كتاب التوحيد من صحيح البخاري لعبد الله الغنيمان**، مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١: ١٤٠٥هـ.

– **الصواعق المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية**، المحقق: علي بن محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط: ١٤٠٨هـ.

– **طبقات المفسرين للداوودي**، دار الكتب العلمية – بيروت، راجع النسخة وضبط أعلامها: لجنة من العلماء بإشراف الناشر.

– **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ليحيى بن حمزة بن العلويّ، المكتبة العنصرية – بيروت، ط١: ١٤٢٣هـ.

– **علوم البلاغة** «البديع والبيان والمعاني» للدكتور محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، المؤسسة الحديثة للكتاب، لبنان، ط١: ٢٠٠٣م.

– **العنوان في القراءات السبع** لأبي طاهر إسماعيل بن خلف بن سعيد المقرئ، المحقق: (الدكتور زهير زاهد – الدكتور خليل العطية)، ط: عالم الكتب، بيروت، ط١: ١٤٠٥هـ.

– **العين للخليل بن أحمد**، المحقق: د. مهدي المخزومي، دار ومكتبة الهلال.

- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري، مكتبة ابن تيمية، ط١: ١٣٥١هـ.

- **غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابوري**، المحقق: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١٦هـ.

- **غريب القرآن لابن قتيبة**، المحقق: أحمد صقر، دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.

- **فتح القدير للشوكاني**، دار ابن كثير – دمشق، بيروت، ط١: – ١٤١٤هـ.

- **فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر**، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ.

- **الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم**، مكتبة الخانجي – القاهرة.

- الفصل والوصل في القرآن الكريم لمنير سلطان، منشأة المعارف بالإسكندرية، ط٢.

- **قلائد المرجان في بيان الناسخ والمنسوخ في القرآن** لمرعي بن يوسف بن أبى بكر بن أحمد الكرمي المقدسي، المحقق: سامي عطا حسن، دار القرآن الكريم – الكويت.

- **كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال للمتقي الهندي**، المحقق: بكري حياني – صفوة السقا، مؤسسة الرسالة، ط٥: ١٤٠١هـ.

- **الكامل في القراءات والأربعين الزائدة عليها لابن عقيل بن سواده الهُذَلي**، المحقق: جمال بن السيد بن رفاعي الشايب، مؤسسة سما، ط١: ١٤٢٨هـ.

- **الكشاف للزمخشري**، دار الكتاب العربي – بيروت، ط٣: ١٤٠٧هـ.

- **الكشف والبيان عن تفسير القرآن للثعلبي**، تحقيق: الإمام أبي محمد بن عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١: ٢٠٠٢م.

- **لسان العرب لابن منظور**، دار صادر – بيروت، ط٣: ١٤١٤هـ.

- **اللباب في علوم الكتاب لابن عادل**، المحقق: الشيخ: عادل أحمد عبد

الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: ١٤١٩هـ.

– **المبسوط في القراءات العشر لابن مِهْران النيسابوري**، تحقيق: سبيع حمزة حاكيمي، مجمع اللغة العربية – دمشق، ط١: ١٩٨١م.

– **مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيثمي**. المحقق: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ط: ١٤١٤هـ.

– **المجتبى من مشكل إعراب القرآن لأحمد بن محمد الخراط، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف**، المدينة المنورة، ط: ١٤٢٦هـ.

– **محاسن التأويل للقاسمي**، المحقق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٨هـ.

– **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لابن عطية**، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، ط١: – ١٤٢٢هـ.

– **مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي**، المحقق: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية – الدار النموذجية، بيروت – صيدا، ط٥: ١٤٢٠هـ.

– **مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي**، حققه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطيب، بيروت، ط١: ١٩٩٨م.

– **مسند أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١: ٢٠٠١م.

– **مسند أبي داود الطيالس**، المحقق: الدكتور محمد بن عبد المحسن التركي، دار هجر – مصر، ط: ١٤١٩هـ.

– **مسند البزار**، المحققون: محفوظ الرحمن زين الله، وعادل بن سعد،وصبري عبد الخالق الشافعي، مكتبة العلوم والحكم – المدينة المنورة، ط١.

– **المسند الموضوعي الجامع للكتب العشرة لصهيب عبد الجبار،**

ط: ٢٠١٣م.

- **المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله لمسلم بن الحجاج**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت،

- **مشكل إعراب القرآن لمكي بن أبي طالب**، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط٢: ١٤٠٥هـ.

- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للفيومي**، المكتبة العلمية – بيروت.

- **معالم التنزيل في تفسير القرآن للبغوي**، المحقق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي –بيروت، ط١: ١٤٢٠هـ.

- **معاني النحو لفاضل صالح السامرائي**، دار الفكر للطباعة والنشر – الأردن، ط١ ١٤٢٠هـ.

- **معاني القرآن للفراء**، المحقق: أحمد يوسف النجاتي، دار المصرية للتأليف والترجمة – مصر، ط١.

- **معاني القرآن وإعرابه للزجاج**، المحقق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب – بيروت، ط١: ١٤٠٨هـ.

- معجم مقاييس اللغة لابن فارس، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ.

- **المعجم الاشتقاقي المؤصل لألفاظ القرآن الكريم**، لمحمد حسن حسن جبل، ط: مكتبة الآداب – القاهرة، ط١: ٢٠١٠م.

- **المعجم المفصل في شواهد العربية** لإميل بديع يعقوب، ط: دار الكتب العلمية، ط١: ١٤١٧هـ.

- **مغني اللبيب** عن كتب الأعاريب لابن هشام، المحقق: د. مازن المبارك / محمد علي حمد الله، دار الفكر – دمشق، ط٦: ١٩٨٥م.

- **مفاتيح الغيب للرازي**، ط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط٣:

١٤٢٠هـ.

– **المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهانى**، المحقق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية – دمشق بيروت، ط١: – ١٤١٢هـ.

– **المنهل العذب المورود شرح سنن الإمام أبي داود لمحمود محمد خطاب السبكي**، عني بتحقيقه: أمين محمود محمد خطاب، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط١: ١٣٥٣هـ.

– **نصب الراية لأحاديث الهداية مع حاشيته بغية الألمعي في تخريج الزيلعي للزيلعي**، المحقق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر – بيروت – لبنان، ط١:، ١٤١٨هـ.

– **نظم الدرر للبقاعي**، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.

– **الناسخ والمنسوخ لهبة الله بن سلامة بن نصر بن علي البغدادي المقري**، المحقق: زهير الشاويش، محمد كنعان، المكتب الإسلامي – بيروت، ط١: ١٤٠٤هـ.

– **النكت والعيون للماوردي**، المحقق: السيد ابن عبد المقصود بن عبد الرحيم، دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان.

– **الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب**، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي – جامعة الشارقة، مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، ط١: ١٤٢٩هـ.

– **الوسيط في تفسير القرآن المجيد للواحدي**، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ علي محمد معوض، د. أحمد محمد صيرة، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ط١: ١٤١٥هـ.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ملخص البحث باللغة العربية	٩٨٢
ملخص البحث باللغة الأجنبية	٩٩٠
المقدمة	٩٩١
أهمية الموضوع	٩٩١
إشكاليات البحث	٩٩٢
حدود البحث	٩٩٢
أسباب اختيار الموضوع	٩٩٢
خطة البحث	٩٩٣
منهج البحث	٩٩٤
الدراسات السابقة	٩٩٦
تمهيد: التعريف بالسورة الكريمة وفيه سبعة مطالب:	٩٩٧
• **المطلب الأول:** أسماء السورة الكريمة، ووجه التسمية	٩٩٧
• **المطلب الثاني:** عدد آياتها وكلماتها وحروفها وفواصلها	٩٩٩
• **المطلب الثالث:** ترتيبها	١٠٠٠
• **المطلب الربع:** نوع السورة الكريمة	١٠٠٢
• **المطلب الخامس:** فضل السورة الكريمة	١٠٠٦
• **المطلب السادس:** مناسبة السورة لما قبلها	١٠٠٨
• **المطلب السابع:** من أغراض ومقاصد السورة الكريمة	١٠٠٩
الفصل الأول: الأمر بتنزيه الله – سبحانه– والاستلال على بيان عظمته وقدرته	١٠١١

الفصل الثاني: من بشارات الرب العلي إلى النبي الأمي (ﷺ)	١٠٣٥
الفصل الثالث: من علامة السعادة والشقاوة	١٠٥٢
الفصل الرابع: بعض ما جاء في القرآن موافقاً لما في صحف إبراهيم وموسى (عليهما السلام)	١٠٦٨
الخاتمة	١٠٨٨
فهرس المصادر والمراجع	١٠٩٠
فهرس الموضوعات	١١٠٠